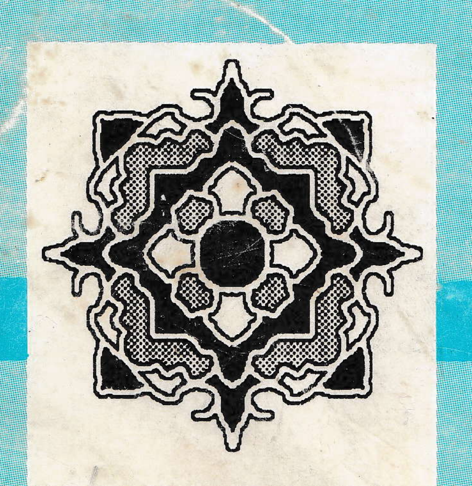
مناهج التاريخ الإسلامي ومدارسه

الدكتور: بشار قويدر





إلى الآنسة الصغيرة أسماء، أهديك هذا الكتاب البسيط عسى أن يفيدك في مستواك الدراسي إن شاء الله آمين يا رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

« Bon courage »

Nhera
sum Yacia
sva Rattem

Azria
Ilimani

الطبعة الأولى

1413 - 1993

الإيداع القانوني
السداسي الأول 93

دارالوعي : ص.ب 700 الجزائر المحطة - الجزائر-

مناهج التاريخ الإسلامي ومدارسه

الدكتور: بشار قويدر

الإهداء

إلى الباحثين وطلاب العلم الى أولئك الذين يسعون ويجدون من أجل إكتشاف الحقائق، وإزالة الغموض ومحو الدس الذي أصاب تاريخنا الإسلامي أهدي هذا الكتاب المتواضع.

المؤلف: بشار قويدر

مقدمة

يصادف الباحثين في التاريخ الإسلامي صعوبات كثيرة بسبب تنوع المصادر واختلاف وجهات نظر أصحابها، وتزداد مهمة الباحثين تعقيدا حين يضطرون إلى ضرورة معرفة إتجاهات المؤرخين وأسلوبهم ومنهجهم في كتابة التاريخ، ولذلك يجد الباحث نفسه مضطرا إلى العودة إلى مصادر التراجم وكتب الإعلام عساه يجد بعض المعلومات عن طرق ووسائل معالجة المؤرخين المسلمين للموضوعات وللأحداث التاريخية .

ولا شكّ أنّ هؤلاء المؤرخين قد كتبوا التاريخ بأسلوبهم الخاص وعبّروا من خلاله عن واقعهم الفكري المميّز الذي يختلف اختلافا بيّنا عن واقع الباحث المعاصر وطريقته في فهم الأحداث التاريخية وتقييمها وتفسيرها، ولذلك يتأخر بعض الباحثين في ميدان بحوثهم لانشغالهم بمعرفة المؤرخ وطريقة كتابته للتاريخ قبل أن يعمده كمصدر لأبحاثه .

ولقد ظهرت هذه الرغبة ملحة لدى كثير من طلبة التاريخ في جامعتنا وخاصة في ميدان التاريخ الإسلامي الذي لايزال مملوءا بإشارات الإستفهام والغموض، وكثيرا ما لاحظت الطلبة يعدلون عن البحث في المصادر الأساسية لصعوبة تناولها الأحداث التاريخية ولضخامة مجلداتها، ويرغبون في وجود أدلة تقودهم إلى معرفة ميسرة عن تلك المصادر وعن منهج مؤلفيها، وموقفه من القضايا التاريخية، وعن فلسفته وطرق وأساليب بحثه، وعن قيمة مصدره من حيث المادة التاريخية بالمقارنة مع غيره، فيكون ذلك تمهيدا لإنارة الطريق أمامه قبل ان يغوص في تفاصيل الأحداث التي يتطلبها بحثه في الميدان التاريخي الإسلامي الواسع .

وفي الحقيقة فإنّه قد مهّد لهذا العمل بعض محقّقي المصادر التاريخية بمقدمات تناولوا فيها دراسة حياة المؤرخين مؤلفي هذه المصادر وأساليبهم في البحث التاريخي، كما عمد بعضهم إلى إنجاز دراسات مختلفة عن أساليب مشاهير المؤرخين العرب المسلمين ومقارنتها بأساليب البحث العلمي الحديث في ميدان التاريخ، فكان جهدهم بنّاء في تذليل كثير من الصعاب التي تعترض الباحثين الناشئين في ميدان التاريخ الإسلامي.

ولقد تفطن إلى هذه الأهمية بعض الباحثين الجزائريين في ميدان التاريخ واقترحوا أن تكون هناك وحدة خاصة بالمناهج تدرس للطلبة المبتدئين في المرحلة الأولى من

التحضير لشهادة الليسانس في التاريخ، وقد وافقت وزارة التعليم العالي الموقرة على هذه الإقتراحات واعتمدتها كوحدة أساسية تدرس لطلبة السنة الأولى تاريخ لاحتياجاتهم الملحة إلى معرفة أساليب المؤرخين قبل التعمق في تفاصيل الأحداث التاريخية وتشعباتها، فبرمجت وحدة " مناهج التاريخ ومدارسه" .

ونظرا لنقص مراجع هذه الوحدة في مكتباتنا، وضرورة توفيرها للطلبة، فإنّني سعيت قدر الإمكان إلى محاولة التعريف بمدرسة التاريخ الإسلامي في المشرق تعريفا عاما، فتحدثت بإيجاز عن أهم أدوار حياة المؤرخ، وركزت على التي لها صلة بتكوينه التاريخي حتى يتمكن الباحث من معرفة مدى أهمية هذا المؤرخ في كتابة التاريخ وعن صلته بهذا العلم، هل هو مجرد ناقل عن غيره أم أنّه كان معاصرا للأحداث ومشاركا في بعض أدوارها ؟ ثمّ تحدثت عن كتاباته في التاريخ وركزت على أشهر كتاب له، فعرّفته وحددت محتواه أي المادة التاريخية وذلك بالإشارة إلى بداية العهد الذي تناوله هذا الكتاب ثمّ الفترة التي توقف عندها، حتى يستطيع الباحث تحديد أهمية هذا المصدر بالنسبة لأبحاثه والقضايا التاريخية التي يريد البحث عنها أو الإستعانة بها لإنجاز عروضه وأبحاثه، وبعد ذلك تحدثت عن منهج هذا المؤرخ في الكتابة، فأشرت قدر الإمكان إلى طريقته في الإعتماد، أي أنّ مصادره كانت وثائق مكتوبة أم روايات شفهية، قريبة أم بعيدة عن الأحداث التي يسجلها، ثمّ أشرت إلى نظام ترتيبه للأحداث، سواء أكان على طريقة الحوليات -أي الترتيب على السنين- وهي طريقة كثير من المؤرخين المسلمين، أم على طريقة الموضوعات، حتى يتمكن الباحث من معرفة كيفية الإعتماد على هذا المصدر، وبعد ذلك ذيّلت هذا البحث بملحق ضمّنته بعض النماذج من النصوص لرواد التاريخ الإسلامي في العصر الوسيط في المنهج وفي البعد الحضاري للكتابة التاريخية .

وأخيرا أشير إلى أنني لا أدّعي الكمال لهذا العمل المتواضع، وإنّما هو محاولة بسيطة جدا في ميدان مناهج التاريخ ومدارسه الواسع، ولذلك فإنّ هذا العمل يحتاج في المستقبل إلى التمحيص والتنقيح، ولقد دفعتني خدمة الطلبة والباحثين الناشئين في حقل الدراسات التاريخية الإسلامية إلى الإسراع في إنجاز هذا العمل وسأسعى في المستقبل القريب إن شاء الله إلى إكماله بالشكل الذي يرضي المهتمين بهذا الميدان الثقافي الهام.

والله المعين، إنّه على كل شيء قدير

الفصل الأول

(نشأة التاريخ عند المسلمين)

1- فكرة الأخبار ونشأة التاريخ

بعد أن أعطيت مفاهيم عديدة لكلمة التاريخ، صار هذا المصطلح معروفا لدى المهتمين به، وهو علم يعتمد على "رواية وكتابة كل ما حدث" للوصول إلى رسم تطور المجتمعات البشرية عبر الزمن من أجل الإستفادة منها وتطوير الحاضر وبناء المستقبل

ولا يعرف بالضبط متى استخدم مصطلح "التاريخ" في التراث العربي، إذ لم يرد في روايات العرب القديمة ولا في شعرهم الجاهلي، كما لانلاحظ ذكره صراحة في القرآن الكريم ولا في الأحاديث النبوية الشريفة .

وبغضّ النظر عمّا أشار إليه الباحثون المعاصرون حول أصل هذا المصطلح وصلته بالتراث العربي الإسلامي، فإنّ ما يعنينا هنا هو أنّ العرب كانت تهتمّ به اهتماما بالغا، إذ لم يعجزوا عن طرق العديد من المواضيع والجوانب ذات الصلة بالنشاط الإنساني ، سواء أكان ذلك معاصرا لهم أوسابقا عنهم .

ويتأكد هذا تأكيدا واضحا في الفترة التي جاء فيها الإسلام، إذ صار اهتمام العرب بالنشاط الإنساني مواكبا لاهتمامهم بلغتهم وبدينهم .

والظاهر أنّ المصطلح المتداول عندهم لرسم هذا النشاط الإنساني هو "الأخبار" بدل مصطلح "التاريخ" الذي لم يتضح عندهم إلاّ بعد القرن الثاني للهجرة (الثامن للميلاد)، حين تطورت الكتابة وتبلور مفهوم "الزمن" كعنصر أساسي في مضمون تسجيل ذلك النشاط البشري .

وفي الحقيقة، فإنّ "الأخبار" عند العرب هي المادة الأولية للتاريخ عندهم ، والمرحلة الأساسية في بناء تاريخهم ، فهي رغم إفتقارها إلى عنصر التطور الزمني الذي هو عماد البناء التاريخي، فإنّها اهتمت بالماضي وقامت على أسس أغلبها واقعية، تدور معظمها حول جوانب عديدة من ميادين الحياة خاصة ما يتعلق بالأشخاص المهمّين في المجتمع الإنساني كالملوك والأمراء والعلماء وغيرهم من علية القوم .

تتضح صلة مفهوم الأخبار بمفهوم التاريخ في التراث العربي الإسلامي في ما أورده القرآن الكريم في مواضيع عديدة، حيث ذكر مصطلح الأخبار وهو يفيد معنى التاريخ، وذكر مصطلح "الخبير" وهو يفيد معنى العارف بشؤون وأحوال الناس بما في ذلك ماضيهم .

ونجد في القرآن الكريم دعوة الناس إلى النظر في أخبار الأمم السالفة وأخبار الأنبياء السابقين ليأخذوا منها العبرة والعضة، أي لتكوين حاضرهم وضمان مستقبلهم .

وتؤكد الروايات أنّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يهتمّ كثيرا بأخبار المسلمين وأحوالهم ليتخذ ما يناسب لحلّ قضاياهم ومشاكلهم، كما كان يتتبّع أخبار غير المسلمين ليعدّ لهم ما يلزم لاتقاء شرّهم ومواجهة خطرهم .

ولم تعد ظاهرة الإهتمام بالأخبار قاصرة على حكام الدولة الإسلامية فحسب، وإنّما صارت ظاهرة يشاركهم فيها جمهور غفير من المسلمين وخاصة بعد دخول أجناس مختلفة في الدين الإسلامي .

وتجب الإشارة إلى أنّ اهتمام الخلفاء الراشدين ثمّ الخلفاء الأمويين بالأخبار ورعايتهم لرواته وتقريبهم لهم بالهبات والأعطيات قد شجع الناس لا على رواية أخبار الماضين فحسب، وإنّما على تدوينها أيضا .

والظاهر أنّ ذلك قد بدأ مع بداية الخلافة الأموية في المشرق، إذ يروى أنّ الخليفة معاوية –مؤسس الخلافة– كان يخصص جزءا هاما من وقته لسماع أخبار الماضين وسير ملوك الأمم وحروبهم ومكايدهم .

ولم يعد بعد هذا الإهتمام بالأخبار غير محاولة تنظيمها وترتيبها ليسهل على الناس حفظ بعضها وتدوين البعض الآخر، خاصة عندما تهيأت لهم الظروف إثر فتور حركات التمرد وعمليات الفتح الكبرى التي شهدها العصر الأموي في المشرق .

وتجب الإشارة إلى أنّ العرب المسلمين لم يضعوا القواعد الأساسية لمنهج البحث التاريخي عندما كان رصيدهم قليلا من المادة التاريخية، وإنّما تطوّر بعد محاولات كثيرة، وساهمت فيها عوامل عديدة سنحاول الإشارة إليها في ما سيأتي .

إنّ المطّلع على الروايات التاريخية يدرك بوضوح أنّ اهتمام العرب بالتاريخ كان قديما حيث يروى أنّه كان لعرب اليمن معابدا وقلاعا حفظت لهم نقوشهم التي سجلوا فيها

أخبارهم الهامة، كما حوت خزائن ملوكهم على كثير من الكتابات ذات الإهتمام بالأخبار التاريخية، سواء أكان ذلك عند ملوك حمير أو عرب الحيرة المناذرة، في حين كان عرب الحجاز يهتمون بأخبارهم عن طريق روايتها شفهيا وهي التي تعرف عندهم بإسم "الأيام".

وفي الحقيقة فإنّ نشأة التاريخ عند العرب قد ارتبط ارتباطا أساسيا باهتمام العرب بموضوعين أساسيين في تاريخهم، أولهما الدقة في حفظ الأنساب وذلك عن طريق الاهتمام بتسلسل الآباء والأجداد وأصول الأفراد والأسر والجماعات، وثانيهما رواية أخبار حروب القبائل وانتجاعاتها ومفاخرها رواية شفهية تنقل من جيل إلى جيل، وكثيرا ما كان أمراء العرب وملوكها يسهرون على سماعها والإصغاء إليها من الرواة ويشجعونهم على حفظها والاعتناء بها .

ورغم ما في هذه الروايات من مبالغة وعمل الخيال فإنّه ما من شكّ في أنّها كانت تحمل كثيرا من الحقائق التاريخية، وقد استعان بعض المؤرخين المسلمين بهذه الروايات في حديثهم عن تاريخ العرب في الجاهلية، هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد ظلّت هذه الظاهرة تدعو العرب والمسلمين إلى الإهتمام بتاريخهم، رغم أنّها لا تدلّ دلالة واضحة عن نموّ كبير في الشعور التاريخي لدى الرواة، ولم تساعدهم على التطور لفهم التسجيل الزمني للأحداث وتسلسلها ولذلك فقد ظلّت تشكل جزء من التراث القصصي والأدبي دون أن تتطور إلى المرحلة التاريخية حتى بعد حقبة طويلة من التاريخ الإسلامي .

ومهما يكن فإنّ نشأة التاريخ عند العرب المسلمين لا يدين لظاهرة الإهتمام بالانساب والعناية بالأيام وإنّما يدين لعناصر أخرى كان لها الأثر البالغ في نموه وتطوره، ومنها الدين الإسلامي الذي يحمل في ذاته –كما أشار القرآن الكريم– فكرة تاريخية، إذ يعتبر التاريخ ليس فكرة جديدة ولكنّه عريق في الوجود وفي المسيرة البشرية(1)، ففي القرآن الكريم كثير من قصص الأنبياء والرسل، وفيه شيء عن أخبار الأمم والعرب قبل الإسلام (2) ومن ثمّ يعدّ القرآن الكريم المصدر الأول لدراسة نشأة التاريخ عند المسلمين .

---

(1) " ملة أبيكم إبراهيم .." و" .. وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرّسل .."

(2) انظر أخبار قبيلة " عاد " و " ثمود " و " سيل العرم " باليمن ، و " قصة لقمان " وقصص الأنبياء وغير ذلك.

ولقد اتضح للعرب أنّ ظهور الرسول (صلى الله عليه وسلم) ودعوته للإسلام كانت بمثابة الخط الفاصل في مسيرة تاريخهم، فقد أوضح لهم أنّه خاتم الأنبياء وأنّه مرسل من الله إلى البشرية جمعاء، ومن ثمة نقلهم من الدائرة التاريخية المغلقة التي كانت لا تتجاوز اهتمامهم بأخبار أنسابهم وأيامهم إلى دائرة أوسع هي الاهتمام بشؤون البشرية، وربطهم بسلسلة التاريخ العام للوجود البشري وأعطاهم البعد التاريخي الزمني للدور المنوط بهم الذي سيمثلوه في المجتمع البشري (1) .

ولئن كان من غير السهل الاعتماد على القرآن الكريم كمصدر أساسي للأحداث التاريخية والاستفادة منه في مفهوم التاريخ، فإنّ الثابت أنّ القصص الواردة فيه كانت ذات موعظة وعبرة أوجبت على المسلمين الوقوف عندها . ولما كانت هذه القصص تعتمد على اللمحة وتكتفي بالإشارة والرمز إلى الأحداث فقد دفعت المسلمين إلى البحث عن تفاصيل أحداثها فكوّنت بذلك فيهم رغبة البحث التاريخي وفتحت لديهم باب الإستفادة من التطور التاريخي للعرب المسلمين منذ عهد مبكر .

وفي الحقيقة فإنّ العرب المسلمين قد شعروا لأول وهلة بالتغيير الجذري الذي أحدثه الإسلام في مسيرة تاريخهم وأعطاهم بعدا جديدا لحاضرهم ولمستقبلهم، ولذلك فإنّ عملية تسجيل هذا الحدث والتفكير في دقائق قضاياه لفهمها وإفهامها لغيرهم صارت أمرا حيويا وتهمّ جمهور المسلمين وعدّت عندهم جزء من الدين، وعليه صارت الاهتمامات بالقضايا التاريخيةلفعاليات الإسلام في المجتمع العربي وغيره جزء لا يتجزّء من اهتمامهم بقضايا الدين الإسلامي وتشريعاته .

ولعلّ إدراك عمر ابن الخطاب الخليفة الثاني لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) لهذا الدور المثالي لحركة الإسلام في مسيرة التاريخ البشري هو الذي دفعه أولا إلى وضع "التاريخ" لإعطاء البعد الزمني للحركة الإسلامية وفعاليتها وحتى يتخذها المسلمون منطلقا لبداية المسار التاريخي الجديد للبشرية، وعمل ثانيا على تسجيل الدواوين على أساس السابقة في الإسلام وعلى القرابة من بيت الرسول (صلى الله عليه وسلم) لإثبات الدور الإنساني للسلف الصالح وذلك من أجل اتخاذه القدوة في العمل والتضحية من أجل تحقيق نظام جديد للحياة البشرية .

(1) جاء في القرآن الكريم .... « كنتم خير أمة أخرجت للناس ... » .

وبنجاح الدولة وما أحدثته من تغيير على الصعيد السياسي والإجتماعي، وظهورها كأعظم دولة في التاريخ الوسيط، فقد بات الإهتمام بمقومات هذه الدولة يشدّ الأنظار ويستدعي الوقوف عنده لا سيما في الشعوب المهزومة، فدفعها ذلك إلى البحث وإلى التحليل، فاستفاد البحث التاريخي من وراء ذلك الشيء الكثير .

وإلى جانب ذلك ظهرت الحاجة إلى معرفة التاريخ لفهم الدين، ولتسيير الإدارة والسيطرة على النظام المالي والقضائي وذلك لحل المشاكل الإجتماعية والسياسية القائمة . وبتطور الحاجة إلى معرفة التاريخ ظهرت فكرة التدوين التاريخي وصارت ذات حظوة بالغة لدى كثير من المهتمين بالشؤون الثقافية .

وتجب الإشارة إلى أنّ الإهتمام بالتاريخ قد تميّز بالطابع الشخصي في بداية الأمر، وكان الهدف منه عفوي غايته التفقه في الدين وفضول الاطلاع العلمي والتوسع في البحث والتبحر في مختلف فروعه .

ولقد بدأت عملية التدوين التاريخي إعتمادا على الروايات الشفهية وبعض الوثائق البسيطة، وبدأت هذه العملية متواضعة محدودة يرقى عهدها إلى عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ولكنّها توسعت في العهد الأموي واتخذت إتجاهات مختلفة في ميدان البحث التاريخي كما سنرى .

وكان من الطبيعي أن يرتبط الإهتمام التاريخي لدى المسلمين الأوائل بدراسة السيرة النبوية، وأعمال الصحابة الأجلاء والتابعين من ذوي التجارب الفذّة والقدرة الفعالة على اتخاذ المبادرة وإحداث التغيير .

ولقد أدّى الاهتمام بسيرة النبي عليه الصلاة والسلام وصحابته الكرام إلى الولوج في كثير من مظاهر التاريخ الإسلامي كأساليب الإتصال بالشعوب الأخرى وطرق إقناعها بالرضى بالدين الجديد، ومنها إلى الاهتمام بشؤون الغزوات والفتوحات الكبرى وحركات الجهاد وما صاحب ذلك من اتصالات بشرية و حضارية .

وظهر في هذه المرحلة من مراحل الاهتمام بالتاريخ جمهور واسع من الرواة كرّسوا مجهودات هامة في جمع الروايات التاريخية فشكلوا بذلك الإطار العام لاهتمامات المسلمين بالتاريخ، ولقد ابتدأت هذه المرحلة حتى مطلع القرن الثاني للهجرة، حيث صبّ فيها الاهتمام بتدوين الأحداث التي تتعلق أساسا بالسيرة النبوية والمغازي، وقد كان للخلفاء

الأمويين الدور الهام في تشجيع هذه الظاهرة ابتداءً من عهد معاوية بن أبي سفيان مؤسس الخلافة الأموية في المشرق .

ويبدو أنّ أهمّ ما دوّن في هذه المرحلة لم يتعدّ المعارف العامة في الأخبار والسير، ولم تتشكل لدى الرواة محاولة الإلمام بالأحداث التاريخية ولا بشمولية مواضيعها، على عكس ما سيلاحظ في الفترة التالية من تطور الاهتمام بالتدوين التاريخي ابتداءً من أواخر القرن الثاني للهجرة حيث استكملت كتب السيرة مواضيعها، وصارت العناية بالمواضيع التاريخية المختلفة تعرف طريقها إلى التدوين مشكّلة بذلك المادة التاريخية الأساسية لبناء التاريخ الإسلامي العام .

ولا شكّ أنّ تطور هذه المرحلة هي التي كانت خاتمة مطاف تخمّرت فكرة التدوين التاريخي ادى المسلمين وشمولية النظرة العامة للتاريخ العالمي ومكانة التاريخ الإسلامي منه، وهي التي تشكلت مع نهاية القرن الثالث الهجري، حيث ظهرت كتب التاريخ المرتبة على أساس الحوليات، وأخرى على أساس الطبقات لتراجم الرجال ومشاهير الأعلام من القادة ورجال الدولة .

والظاهر أنّ هذا المنهج هو الذي قدّر له أن يتطوّر ويشكّل المظاهر العامة لاهتمام المؤرخين المسلمين التي استمرت في الظهور بازدياد العمق الفكري والوعي التاريخي وتطور مناهجه إثر الإزدهار الحضاري الذي عرفه المجتمع الإسلامي في العصر العباسي الأول وما بعده، وهو العصر الذي هيّأ للمؤرخين الجوّ المناسب لسعة الأفق وبعد النظرة التاريخية لمختلف حضارات الشعوب وتسلسلها .

ولقد برز في هذا الجو الحضاري المناسب فطاحل يرجع إليهم الفضل في حفظ المادة التاريخية بنصوصها ووثائقها، وإيصالها إلى الأجيال المتتابعة، وهي التي نعتمد عليها اليوم لبناء تاريخنا العربي الإسلامـــــي .

ويلاحظ المهتمّ بنشأة التاريخ عند العرب المسلمين إتصاله بمنهج عرب الجاهلية في تداول أخبارهم وحفظها على الطريقة المعهودة والشائعة في مصادر التاريخ وهي "أيام العرب"، فما هو هذا المنهج وما صلته بالكتابات التاريخية الأولى عند المسلمين.

2 – أيام العرب :

هي قصص تروي أخبار القبائل العربية في الجاهلية، كانت متداولة بينهم في تلك الفترة واستمرت بعدها في الفترة الإسلامية، ونظرا لقلّة تدوين هذه الأخبار وصلتها الوثيقة بمفاخر القبائل ومزاعمها، ولطول تداولها بين الناس، فإنّ الدسّ والزيف قد عرفا طريقهما إلى هذه الأخبا، فظهرت روايات مضطربة غير متماسكة تنقصها الدقّة والمنهج التاريخي

ويصعب على الباحثين الحصول على تصور واضح للفترة التي تروي هذه الأخبار وتاريخها، ولكن ذلك لا يسقط من قيمة أهمية "الأيام" في نظر المؤرخين إذ أنّها ليست مصدرا أساسيا لتاريخ العرب قبل الإسلام فحسب، وإنّما لها التأثير البيّن في نشأة التاريخ في الحضارة العربية الإسلامية .

ولقد ظهر كثير من المهتمين بهذه "الأيام" فرووها وحفظوها للأجيال ، وزوّدوها ببعض ما تجمّع لديهم من روايات عن مختلف أحداث التاريخ الإسلامي، ولعلّهم مزجوا أحيانا بين روايات العهد الجاهلي وأدخلوا فيها بعض المظاهر الإسلامية، فصاروا بذلك مصدرا لكثير من الأحداث لا نجدها عند غيرهم .

ونظرا لافتقارنا إلى كتابات هؤلاء المهتمين بالتراث الأول للعرب، فإنّه يصعب علينا الحكم عليها، كما أنّه لا يمكن إعتبارهم مؤرخين، وإنّما يجوز وصفهم بالإخباريين، حيث لم يتعدّ اهتمامهم حدود الخبر التاريخي ورواية مفاخر القبائل العربية .

ومع ذلك فإنّ "الأيام" تعدّ أقدم صورة للتكوين التاريخي عند العرب، رغم أنّها تتميّز بقصورها عن تحقيق الشمولية للحدث التاريخي ولا تربط الحوادث ببعضها ولا بأسبابها، وممّا صعّب على المهتمّين بالتاريخ بعد ذلك مهمّة تنسيق الحوادث وربطها ببعضها . كما تتميّز "الأيام" بأنّها عبارة عن قصص قصيرة مروية، غرضها الأساسي الإثارة والتفاخر، فضلا على اعتمادها على التعبير الفنّي والتزويق اللفظي .

ورغم ما يذكره "ابن النديم" صاحب كتاب "الفهرست" من عناوين لكتبهم، فإنّ أيّا ما كان من هذه المؤلفات لم يصل إلينا حتى الآن، وإنّ ما اقتبسه عنهم المؤرخون المسلمون في ما بعد لا يتجاوز بعض الأخبار والروايات المتفرقة عن أحداث متباعدة تعوزها الدقّة

وتفتقر إلى التماسك والحسّ والمنظور التاريخيين .

وتجب الإشارة إلى اهتمام المسلمين بالأخبار قد ارتبط ارتباطا وثيقا باهتماماهم بالدين الإسلامي، ولقد عدّها بعضهم جزء منه، وكان أكثرهم يستخدمها لغرض تيسير فهم الفقه ومختلف النصوص التشريعية والأحاديث النبوية .

3 - القرآن الكريم ونشأة التاريخ :

يمكن اعتبار القرآن الكريم أول المصادر الموثوق في صحتها حول توجيه المسلمين إلى الإهتمام بالتاريخ، وذلك بالتأكيد على أمثلة الشعوب والأمم الماضية والبائدة وما تحمله هذه الأمثلة من مواعظ أخلاقيةتستحق الوقوف عندها للاعتبار والتفكير .

ومن ذلك ما جاء في أخبار العرب قبل الإسلام فيما يتعلق ببعض القبائل العربية كقبيلة "عاد" و "ثمود" وغزوة الكعبة من قبل الأحباش، وقضية سيل العرم باليمن، هذا فضلا عن كثير من أخبار الأنبياء وموقف شعوبهم منهم (1) .

ونشير بهذا الصدد إلى أنّ الاكتشافات الأثرية الحديثة قد أكدت صحة ما جاء في القرآن الكريم (2) .

ولم يقتصر القرآن على إحالة المسلمين إلى أخبار من سبقهم ليتعضوا، بل إنّه أعطى مفهوما جديدا لذلك وهو البعد التاريخي للوجود البشري في إطار من التسلسل التاريخي للأنبياء ومنه للشعوب والقوميات، ومن ثمّة تكون لدى المسلمين فكرة النظرة العالمية للأحداث التاريخية بتعاقب الأجيال التي مثّلت تلك الأحداث وعاشتها .

وفي الحقيقة فإنّ القصص التي وردت في القرآن الكريم كانت مختصرة وتقتصر

---

(1) هناك كثير من القصص الإخبارية التاريخية ، أنظر على سبيل المثال ، سورة فصلت ، سورة الذاريات ، سورة هود ، سورة البقرة ، سورة آل عمران ، سورة يوسف و غيرها .

(2) راجع أعمال الحفائر و البعثات الأثرية التي تمت في جنوبي الجزيرة العربية وكل من اليمن ، ومدائن صالح، وشمالي الحجاز .

على العبرة دون تحديد الإطار الزماني والمكاني الدقيق للحدث الذي ترويه، وهذا ما دفع المسلمين إلى البحث والتنقيب عن أخبار تلك القبائل والأمم وجمع ما أمكنهم من روايات حول الأنبياء الذين سبقوا رسالة محمد (صلى الله عليه وسلم)، فجاء اهتمامهم هذا بمثابة الخطوات الأولى في ميدان البحث التاريخي وتكوينه لدى المسلمين .

وفضلا عن ذلك فإنّ كثيرا من الآيات القرآنية قد أشارت إلى العديد من القضايا التي اعترضت الدعوة الإسلامية، سواء أكان مصدر تلك المعارضة من محض إرادة الأشخاص أو من طرف بعض الجماعات الهادفة إلى المحافظة على الهياكل الإجتماعية والاقتصادية القديمة لمجتمع ما قبل الإسلام، ولذلك فإنّ القرآن الكريم قد أكّد على ضرورة الاقتداء بمواقف الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وطرق حلّه للقضايا والمشاكل التي واجهته خلال فترة الدعوة الإسلامية وبناء دولتها، ومن ثمّة كان على المسلمين أن يبحثوا في تفاصيل حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وأقواله وأعماله، فنشأت بذلك فكرة الإهتمام بسيرة القادة والزعماء، وكانت لها أهمية بالغة العمق في نشأة التاريخ الإسلامي، ولعلّ أهمّ ما ظهر من ذلك هو الكتابات عن سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومغازيه .

وقبل الحديث عن اهتمام المسلمين بهذا الفرع من فروع التاريخ الإسلامي تجدر الإشارة إلى أنّ هناك عوامل أخرى أساسية أسهمت بشكل مباشر في وجوده، وهي اهتمامات المسلمين بأحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) على اعتبارها أصدق من تعبّر عن شخصيته ومواقفه في الدعوة وفي البناء الإجتماعي للأمّة الإسلامية .

4 - الرواية وصلتها بمنهج التاريخ :

وتعني كلمة "حديث"أقوال الرسول8 (صلى الله عليه وسلم)، ولكن نظرا لعدم تسجيل هذه الأحاديث وتدوينها وقت تلفظ الرسول (صلى الله عليه وسلم) بها، فقد كانت تلقى على المسلمين شفاهة فكانوا يحفظونها ليرووها عن غيرهم، واستمرّت هذه العملية مدّ غير قصيرة.

وكان منهج المسلمين في تداول أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) يعتمد اعتمادا أساسيا على الرواية الشفهية وعلى الرواة، ولطول المدّة بين تداول الأحاديث وتدوينها كان المسلمون يتحرّون في رواية الحديث، وذلك بإسناده إلى من رواه، فظهرت إثر ذلك سلسلة من أسماء الرواة تعرف بـ"الإسناد"، وباختصار يمكن القول أنّ المسلمين قد

عرفوا الأحاديث النبوية بقسمين، القسم الأول هو سلسلة الرواة أي الإسناد، والقسم الثاني هو الرواية أي حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام .

وطالما أنّ هذا المنهج هو الذي اعتمد عليه المهتمون بالأخبار والروايات التاريخية، وهو مصدر أغلب المؤرخين المسلمين منهجا ومادة تاريخية، فإنّه يتطلّب توضيح ذلك قبل الحديث عن المحاولات الأولى لتدوين التاريخ الإسلامي .

– الرواية ومنهج التاريخ عند المسلمين : تعني الرواية "النقل" أي نقل الخبر ونقل المعرفة، سواء أكان ذلك فيما يخص الدين أو التاريخ، ولذلك كان أصل التاريخ عند المسلمين يعدّ من المعارف النقلية بدرجة أولى وذلك قبل أن يتحوّل إلى علم له منهجه الخاص، وذلك بتطور معرفتهم للمنهج النقدي واستنباط الحقائق التاريخية من الأحداث بإدراك أسبابها وعللها .

ولقد كان منهج المسلمين في خطة نقلهم للمعرفة التاريخية يقتصر على الشكّ والتحرّي في صحة الناقل لا في صحة المنقول، ولقد دام هذا المنهج عند المؤرخين المسلمين الأوائل طويلا حتى جاء منهم من ينتقد ويفسر ويعلّل الروايات التاريخية نفسها، ويشك في صحتها وصلاحيتها، ويحدّد درجة استفادتها في البناء التاريخي للأمّة الإسلامية .

ولذلك فقد ركّزوا اهتمامهم لمصدر الرواية وهو الراوي واتضح أنّ الصحابة الأجلاّء كانوا أوّل من مثلوا دور الرواة بالنسبة للتاريخ الإسلامي أي أخبار الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتفاصيل سير الدعوة الإسلامية، فكانوا بذلك المصدر الأول للأحداث ولقد عرفوا جيّدا مسؤولية ما يقومون به، ولذلك وجدناهم يتحفظون من هذه العملية خشية الوقوع في الخطأ، وذلك بالتقليل من الروايات قدر الإمكان ثمّ التثبّت والتحرّي فيما يروون، ويتضح هذا أساسا في فترة الخلفاء الراشدين حيث كان التخوف على أخبار مسيرة الإسلام وأحداثه من عبث الرواة واضحا لدى كثير منهم، ولذلك فإنّهم اشترطوا على الرواة التقليل من رواية الأخبار أولا، ثمّ التحري والصدق في قول الرواية لدرجة أنّهم عدّوا الرواية كالشهادة لا تؤخذ إلاّ ممّن تقبل شهادته أي المشهود فيهم بالصدق والعدالة .

ولقد بنى الخلفاء (أبو بكر وعمر) أوّل خطوة من خطوات الإسناد في الرواية وفي الخبر التاريخي أيضا، وذلك بشرطهم على الراوي سماع الرواية من الرسول (صلى الله عليه وسلم) المصدر الأول للخبر .

وباتساع حركة الفتوحات الإسلامية وانتقال كثير من الصحابة الأجلاّء إلى الأقاليم والأمصار المفتوحة، واستشهاد بعضهم في المعارك والحروب، ظهرت الحاجة إلى ضرورة الإنتقال والرحلة إليهم لسماع الأخبار منهم، ومن ثمّة ازدادت سلسلة الإسناد وازدادت معها عملية التحري والضبط لهذا الإسناد .

وبازدياد عدد المسلمين نتيجة الفتوحات الواسعة خارج شبه الجزيرة العربية وانشغال أكثر المسلمين بالفتح، ظهرت الحاجة إلى تدوين بعض الأخبار خشية ضياعها، ومن ثمّ صار الإسناد مصدرا مكتوبا يعتمد عليه فضلا عن المصدر الشفهي .

ولكنّ المهتمّين من علماء الإسلام بهذه الأخبار لم يقبلوا في بداية الأمر الاعتماد على هذه المصادر المكتوبة إلاّ بمقارنتها بمصدر شفهي، ولمّا كان هذا المصدر هو الأساس في نظر المسلمين فقد ازداد احتياطهم خوفا على ضياع الأصول بعد استشهاد عدد كبير من الصحابة ومن التابعين أيضا .

فاشترطوا بلوغ السنّ الذي يصير فيه الراوي عاقلا مميزا، كما اشترطوا القدرة على الضبط، والتحلي بميزة الإلتزام بحدود الدين والعدل في تطبيقه .

ولئن دلّت هذه الشروط على شيء فإنّما تدلّ على دقة المسلمين في اختيار من يؤخذ عنهم المعرفة، وبذلك قويت لديهم ظاهرة دقة الملاحظة في النقل والصدق في الأداء، ولا شكّ أنّ هذا التحري والتدقيق قد صانا للمسلمين معارف تاريخية كبيرة، إذ أنّ هذا المنهج لا يختلف في مضمونه عن خصائص المنهج العلمي للأبحاث التاريخية الحديثة .

ولم يقتصر المسلمون على هذا المنهج وحده، بل تجاوزوا إلى التحري في الخبر نفسه أي في مضمون الرواية لا في إسنادها فقط، ولقد طبق المسلمون هذه الفكرة في نفس الوقت مع ما كانوا يقومون به بالنسبة لنقد السند، حيث كان الصحابة الأجلاّء يستحلفون الرواة ولا يقبلون منهم الروايات إلاّ ببيّنة .

ولقد توسع المسلمون في استعمال هذا المنهج بعد الفتنة الكبرى التي ذهب ضحيتها الكثير من الصحابة ومن التابعين فضلا عن استشهاد كثير منهم في حروب الفتح الإسلامي في مختلف الأمصار كما أشرت سابقا .

وأدّى بهم تطبيق هذا المنهج إلى تصحيح "المتون" أي الخبر التاريخي، كما فهموا

جيّدا الأسباب التي تؤدي إلى أخطاء الرواة ، فذكروا الأخطاء الناجمة عن ضعف في السمع بالنسبة للروايات والأخبار المتداولة شفهيا، وحذّروا من الأخطاء الناجمة عن الضعف في البصر بالنسبة للروايات المنقولة عن مصادر مكتوبة، وهذا ما يعرف عندهم بـ "التصحيف" أو "التحريف" .

ولعلّ هذا المنهج هو الذي قادهم إلى المزيد من التعمق في متون نصوص الروايات والأخبار، فتناولوها بالشرح والتفسير، ووضعوا قواعد ومراحل لتفسير مضمون الخبر .

وإعتمد هذا التفسير في المرحلة الأولى على محاولة تجديد المعنى الحرفي للنص، أي شرح الكلمات والمصطلحات الواردة في النص شرحا لغويا وهو ما يعرف بـ"شرح الغريب"، أمّا المرحلة الثانية فهي بيان المعنى الإجمالي لمضمون النص ويعرف بـ"الاستنباط" .

ولا شكّ أنّ هذا العمل الدقيق هو الذي أدى بالعلماء المسلمين المهتمّين بالحديث والأخبار إلى تصنيف مضامين هذه الروايات، فرتبوها أبوابا خاصة لكل باب اختصاص تندرج فيه الروايات والأخبار التي تتصل به، سواء أكان ذلك في المجال الفقهي التشريعي أو في المجال التاريخي .

ولعلّ هذا الترتيب الموضوعي هو الذي قاد الكثير من المهتمّين بهذا الفرع إلى الإهتمام بالسيرة النبوية الشريفة فيما يتعلق بحركات الغزو والجهاد، ومنه ظهرت كتب السيرة والمغازي .

5- كتب السيرة والمغازي :

لقد كانت سيرة ومغازي الرسول (صلى الله عليه وسلم) وغزوات أصحابه مصدر اهتمام المسلمين، فاعتزّوا بها وحبّذوا سماعها في مجالسهم .

وممّا لا شكّ فيه أنّ لفظة "سيرة" قد استعملت استعمالا واسعا لتشمل أغلب أعمال الرسول قبل أن تكون عناوينا للكتب التاريخية التي حملت هذا الإسم، كما أنّ لفظة "مغازي" استعملت أحيانا للدلالة على السيرة النبوية، ومهما كان هذا الاختلاف فإنّ الملاحظ أنّ الهدف كان واحدا أي الاهتمام بأعمال الرسول (صلى الله عليه وسلم) في السلم أو في الحرب .

ولعلّ الخلط بينهما كان نتيجة اهتمام المسلمين بجمع ما روي عن الرسول (صلى الله عليه وسلم)، حيث أوجبت أهمية ما جاء به هذا النبي عليه السلام العناية الشاملة بتدوين تفاصيل حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

وتعني لفظة "مغازي" غزوات الرسول (صلى الله عليه وسلم) وحروبه، بيد أنّ المؤلفات التي كتبت تحت هذا الإسم لا تهتمّ بالغزوات والحروب فحسب وإنّما تتناول فترة الدعوة الإسلامية في عهد النبي بكاملها تقريبا، ولذلك فإنّ المؤلفات التي تحمل عنوان "السيرة" أو "المغازي" هي في الحقيقة ذات اهتمام مشترك وهو دراسة تاريخ الرسول (صلى الله عليه وسلم) بما فيها من أحداث وبما تمّ فيها من إنجازات في مجال بناء الحضارة العربية الإسلامية .

ولقد أدّى الإهتمام بجمع الحديث عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) منذ نهاية القرن الأول للهجرة إلى توفر المادة التاريخية التي تتعلق بسيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتفاصيل الغزوات التي خاضها والسرايا التي بعثها، وأضيفت إليها بعض الروايات التاريخية التي رويت عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) في بعض المناسبات إذ كان عليه السلام كثيرا ما يشير في مجالسه إلى بعض مظاهر حياته وطفولته وإلى الحياة الإجتماعية والإقتصادية للعرب سواء أكانوا بدوا أم حضرا، هذا فضلا عن أحاديثه الكثيرة عن مراحل البعثة التي وعاها المسلمون حق الوعي .

ولم يجد الإخباريون المهتمّون بالسيرة والمغازي صعوبة في تخصيص اهتمامهم بالروايات المتعلقة بالسيرة والمغازي لأنّ علماء الحديث كانوا قد مهّدوا لهم الطريق حين قاموا بدراسة الحديث وبنوا مناهجهم المتبعة في ذلك كما أشرت سابقا .

ومن المؤكد أنّ أشهر التآليف في هذا الموضوع هما كتابا "ابن إسحاق" و "الواقدي" -سيأتي ذكرهما- ولكن مع ذلك فإنّهما ليسوا بأوّل من جمع الأخبار والروايات في هذا الميدان العلمي الهام من التاريخ الإسلامي .

ولا شكّ أنّ كثيرا من الصحابة والتابعين قد تخصصوا في هذا الميدان -السيرة والمغازي- ولكنّه مع الأسف لا يوجد كتاب بين أيدينا الآن حول هذا الإختصاص كتب في عهد الصحابة رغم ورود إسم "إبان بن عثمان بن عفان" ضمن قائمة المختصين في هذا الميدان .

وحسب ما جاء في المصادر عن "عروة بن الزبير" يمكن القول أنّه من مؤسسي

فكرة العناية بـ"المغازي" إذ يروى أنّه أول من ألّف في هذا الموضوع (1)، ولكنّه لم يصل إلينا ما كتبه، وإنّما كثرت النقول عنه في ميدان السيرة والمغازي عند كلّ من "ابن إسحاق" والواقدي والطبري، ولعلّ هذه النقول هي أقدم ما لدينا من تاريخ السيرة النبوية والمغازي، وهي عبارة عن مقتبسات تتناول جوانب مختلفة من حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وفترة تاريخ الخلفاء الراشدين كأحداث حركة الردّة ومعركتي القادسية واليرموك.

وأسلوب "عروة" في التأليف التاريخي بسيط جدا، ونظرته للأحداث تتسم بالواقعية والصراحة كما أنّها بعيدة عن الخيال والمبالغة، ولقد مكّنته منزلته الإجتماعية من الحصول على معلومات تاريخية من مصادرها الأولية ومن أشخاص شاركوا في الأحداث (2)

ومن الذين عاصروا عروة أو جاءوا بعده مباشرة "شرحبيل بن سعد" الذي توفي سنة 123هـ/740م، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم (توفي 130هـ/747م) وعاصم بن عمروا بن قتادة (توفي 120هـ/737م) ومحمد بن شهاب الزهري (توفي 124هـ/741م)، وكلّ هؤلاء قاموا بمجهودات فردية ليدعموا القائمين على إرساء قاعدة تاريخ السيرة والمغازي.

وتجب الإشارة إلى أنّه ليس بين أيدينا سوى مقتطفات من مؤلفاتهم التي تعدّ بالنسبة لنا في حكم الضياع، ولكن هذه المقتطفات هي التي أصبحت حتى الآن تشكل الإطار العام لكتب السيرة والمغازي كما أنّها تعدّ المصدر الأول والأساسي للمادة التاريخية التي اعتمد عليها من جاء بعدهم مثل ابن إسحاق والواقدي كما سنرى.

والزهري هو المؤرخ الأول من بين الأربعة المذكورين أعلاه، بحيث أنّه لم يقتصر على رواية مغازي عروة بن الزبير، بل قام ببحث واسع عن روايات "أهل المدينة" المنورة، وكتب ما كان يسمعه منهم، ومحّص تلك الروايات ووضعها في إطار منظم.

---

(1) فقيه و محدث مشهور ، وهو أخو " عبد الله بن الزبير " الثائر ضد سلطة الخلافة الأموية ، إلا أنه لم يشترك في الحرب ضدهم لورعه و خشيته على مصير الأمة الإسلامية من إستفحال الفتنة و تطور القتال ، و لذلك فإنه بايع بالخلافة لـ " عبد الملك بن مروان الأموي " بعد موت أخيه عبد الله، ويروى أن عروة قد كتب لهذا الخليفة كتابا في تاريخ فجر الإسلام . أنظر ، الواقدي ، المغازي ، جـ 1 ، ص 0-21 . ، السخاوي ، الاعلان ، ص 99 .، حاجي خليفة ، كشف الظنون ، جـ 2 ، ص 1747 ، عبد العزيز الدروي ، نشأة التاريخ ، ص 21 .

(2) تعد عائشة زوجة الرسول (ص) و آل الزبير من الذين كان " عروة " على صلة وثيقة بهم بحكم القرابة و بحكم الموقف السياسي أيضا .

والروايات التي وصلتنا عن طريق الذين نقلوا عنه بأمان تجعلنا نتأكد من أنّه كان أول من أعطى للسيرة هيكلا محدودا ورسم خطوطها بوضوح.

وتبدأ خطته للسيرة بذكر بعض المعلومات عن ما قبل الإسلام والتي تتصل بحياة النبي (صلى الله عليه وسلم)، ثمّ يتناول النواحي الهامة من حياته في الفترة المكية، ثمّ ظاهرة الهجرة إلى المدينة وما صاحبها من ملابسات، وبعد ذلك يتطرق إلى المغازي وفتح مكة، ويتناول بالحديث عن بعض السفارات والبعثات التي أرسلها الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الملوك والأمراء المجاورين، ثمّ يتحدث عن الوفود التي قدمت إليه، وختم أخباره بالحديث الوجيز عن فترة الخلفاء الراشدين، فركّز بإمعان على الحوادث الهامة والمشاكل الرئيسية في تاريخ الأمّة الإسلامية.

ولقد أسند "الزهري" رواياته واشتهر باحترام تسلسل الرواة، وأدخل منهجا جديدا وهو "الإسناد الجمعي"، حيث كان يدمج عدّة روايات في خبر متسلسل ومن ثمة ساعد على ظهور الكتابة التاريخية المتصلة التي سيعتمدها المؤرخون بعده (1).

والملاحظ أنّ الروايات التي اعتمد عليها الزهري تتصف بالصراحة والدقة في التعبير عن الحدث، واختياره لها يدل على أنّه كان على قدر كبير من المقدرة على انتقاء الروايات وتحريرها، عكس ما سنلاحظه لدى بعض المؤرخين فيما بعد، حيث يرد في رواياتهم الكثير من القصص الخيالية والإسرائيليات.

ويأتي في طليعة هؤلاء "وهب بن منبه" (ت 110هـ/728م)، إذ يروى أنّه ألّف في السيرة وفي المغازي (2)، ولكن القطع المنقولة عنه لا تعطي فكرة واضحة عن تصوره العام للسيرة، كما أنّها وردت دون إسناد، بالإضافة إلى أنّها كتبت بأسلوب قصصي فيه التصوير وفيه التمجيد الأسطوري، ولذلك فإنّ كتاباته لا يشار إليها في المصنفات الأساسية والمغازي (3) باستثناء ما نقل عنه ابن إسحاق في القسم الأول من

---

(1) انظر ، الواقدي ، ص 22-23 . ، والدوري ، ص 23-24 .

(2) انظر الأصفهاني ، حلية الأولياء ، ص73 ، ص 79 . ، حاجي ، جـ 2 ، ص 1747. ، الدوري ، ص25 .

(3) الواقدي ، جـ 1 ، ص 21-22 ، ياقوت الحموي ، معجم الأداب ، جـ 19 ، ص 259

فكرة العناية بـ"المغازي" إذ يروى أنّه أول من ألّف في هذا الموضوع (1)، ولكنّه لم يصل إلينا ما كتبه، وإنّما كثرت النقول عنه في ميدان السيرة والمغازي عند كلّ من "ابن إسحاق" والواقدي والطبري، ولعلّ هذه النقول هي أقدم ما لدينا من تاريخ السيرة النبوية والمغازي، وهي عبارة عن مقتبسات تتناول جوانب مختلفة من حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وفترة تاريخ الخلفاء الراشدين كأحداث حركة الردّة ومعركتي القادسية واليرموك.

وأسلوب "عروة" في التأليف التاريخي بسيط جدا، ونظرته للأحداث تتسم بالواقعية والصراحة كما أنّها بعيدة عن الخيال والمبالغة، ولقد مكّنته منزلته الإجتماعية من الحصول على معلومات تاريخية من مصادرها الأولية ومن أشخاص شاركوا في الأحداث (2)

ومن الذين عاصروا عروة أو جاءوا بعده مباشرة "شرحبيل بن سعد" الذي توفي سنة 123هـ/740م، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم (توفي 130هـ/747م) وعاصم بن عمروا بن قتادة (توفي 120هـ/737م) ومحمد بن شهاب الزهري (توفي 124هـ/741م)، وكلّ هؤلاء قاموا بمجهودات فردية ليدعموا القائمين على إرساء قاعدة تاريخ السيرة والمغازي.

وتجب الإشارة إلى أنّه ليس بين أيدينا سوى مقتطفات من مؤلفاتهم التي تعدّ بالنسبة لنا في حكم الضياع، ولكن هذه المقتطفات هي التي أصبحت حتى الآن تشكل الإطار العام لكتب السيرة والمغازي كما أنّها تعدّ المصدر الأول والأساسي للمادة التاريخية التي اعتمد عليها من جاء بعدهم مثل ابن إسحاق والواقدي كما سنرى.

والزهري هو المؤرخ الأول من بين الأربعة المذكورين أعلاه، بحيث أنّه لم يقتصر على رواية مغازي عروة بن الزبير، بل قام ببحث واسع عن روايات "أهل المدينة" المنورة، وكتب ما كان يسمعه منهم، ومحّص تلك الروايات ووضعها في إطار منظم.

---

(1) فقيه و محدث مشهور، وهو أخو " عبد الله بن الزبير " الثائر ضد سلطة الخلافة الأموية، إلا أنه لم يشترك في الحرب ضدهم لورعه و خشيته على مصير الأمة الإسلامية من إستفحال الفتنة و تطور القتال، و لذلك فإنه بايع بالخلافة لـ " عبد الملك بن مروان الأموي " بعد موت أخيه عبد الله، ويروى أن عروة قد كتب لهذا الخليفة كتابا في تاريخ فجر الإسلام. أنظر، الواقدي، المغازي، جـ 1، ص 0-21. ، السخاوي، الاعلان، ص 99 ،. حاجي خليفة، كشف الظنون، جـ 2، ص 1747، عبد العزيز الدروي، نشأة التاريخ، ص 21.

(2) تعد عائشة زوجة الرسول (ص) و آل الزبير من الذين كان " عروة " على صلة وثيقة بهم بحكم القرابة و بحكم الموقف السياسي أيضا.

والروايات التي وصلتنا عن طريق الذين نقلوا عنه بأمان تجعلنا نتأكد من أنّه كان أول من أعطى للسيرة هيكلا محدودا ورسم خطوطها بوضوح.

وتبدأ خطته للسيرة بذكر بعض المعلومات عن ما قبل الإسلام والتي تتصل بحياة النبي (صلى الله عليه وسلم)، ثمّ يتناول النواحي الهامة من حياته في الفترة المكية، ثمّ ظاهرة الهجرة إلى المدينة وما صاحبها من ملابسات، وبعد ذلك يتطرق إلى المغازي وفتح مكة، ويتناول بالحديث عن بعض السفارات والبعثات التي أرسلها الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الملوك والأمراء المجاورين، ثمّ يتحدث عن الوفود التي قدمت إليه، وختم أخباره بالحديث الوجيز عن فترة الخلفاء الراشدين، فركّز بإمعان على الحوادث الهامة والمشاكل الرئيسية في تاريخ الأمّة الإسلامية.

ولقد أسند "الزهري" رواياته واشتهر باحترام تسلسل الرواة، وأدخل منهجا جديدا وهو "الإسناد الجمعي"، حيث كان يدمج عدّة روايات في خبر متسلسل ومن ثمة ساعد على ظهور الكتابة التاريخية المتصلة التي سيعتمدها المؤرخون بعده (1).

والملاحظ أنّ الروايات التي اعتمد عليها الزهري تتصف بالصراحة والدقة في التعبير عن الحدث، واختياره لها يدل على أنّه كان على قدر كبير من المقدرة على انتقاء الروايات وتحريرها، عكس ما سنلاحظه لدى بعض المؤرخين فيما بعد، حيث يرد في رواياتهم الكثير من القصص الخيالية والإسرائيليات.

ويأتي في طليعة هؤلاء "وهب بن منبه" (ت 110هـ/728م)، إذ يروى أنّه ألّف في السيرة وفي المغازي (2)، ولكن القطع المنقولة عنه لا تعطي فكرة واضحة عن تصوره العام للسيرة، كما أنّها وردت دون إسناد، بالإضافة إلى أنّها كتبت بأسلوب قصصي فيه التصوير وفيه التمجيد الأسطوري، ولذلك فإنّ كتاباته لا يشار إليها في المصنفات الأساسية والمغازي (3) باستثناء ما نقل عنه ابن إسحاق في القسم الأول من

---

(1) انظر، الواقدي، ص 22-23. ، والدوري، ص 23-24.

(2) انظر الأصفهاني، حلية الأولياء، ص73، ص 79. ، حاجي، جـ 2، ص 1747. ، الدوري، ص25.

(3) الواقدي، جـ 1، ص 21-22، ياقوت الحموي، معجم الأداب، جـ 19، ص 259

كتابه في السيرة (1)، وما نقل عنه ابن قتيبة في كتابه "المعارف" والطبري في كتابه "تاريخ الرسل والملوك" وسيأتي ذكر هؤلاء المؤرخين .

ومن خرّجي مدرسة المدينة المنورة في هذا الميدان من ميادين التاريخ الإسلامي "موسى بن عقبة" (*) تلميذ الزهري، المتوفى (141هـ/758م)، وهو الذي يبدي اهتماما خاصا بتاريخ الحوادث الهامة في الفترة الأولى من التاريخ الإسلامي، ومؤكدا على ضرورة احترام الإسناد بإيراد سلسلة رواة الأخبار في معظم الروايات التي نقلت عنه، ولقد استفاد "موسى" كثيرا من المادة التاريخية التي تركها شيخه الزهري وأضاف إليها بعض الروايات المختلفة، بيد أنّ كتابه في المغازي لم يصل إلينا مع أنّه كان موجودا حتى القرن العاشر للهجرة على ما يروى (2)

وفي الحقيقة فإنّنا لا نستطيع أن نكوّن فكرة عن الكتاب إلاّ من خلال النقول والمقتبسات الواردة عند بعض المؤرخين (3)،وهي تشبه الى حد كبير اسلوب ومنهج ابن إسحاق في كتابه "السيرة" ممّا يدلّ على أنّ هذا النمط في ميدان السيرة والمغازي كان مألوفا لدى الكتّاب قبل تآليف ابن إسحاق الهامة في هذا المجال (4)، وهي التي يلتمس فيها آثار التطور والتجديد .

---

(1) نسب إليه إبن النديم صاحب كتاب الفهرست (ص 128) ، كتاب " المبتدأ " وهو الذي يحتمل أن يكون إبن إسحاق قد نقل عنه ، أنظر ، إبن إسحاق ، السيرة ، جـ 1، ص 32 . ، الواقدي ، جـ 1 ، ص 22 .

(*) هو موسى بن عقبة بن أبي عياش الأزدي ، كان من موالي " آل الزبير بن العوام " ، يروى أن الإمام " مالك بن أنس " كان يوصي تلاميذه بأخذ " المغازي " من روايات موسى بن عقبة لثقته به ، و لصحة ما دونه من هذا الموضوع لدرجة أنه كان يقال عنه ، أنه لا يوجد في المدينة أعلم منه في المغازي .

أنظر ، الواقدي ، جـ 1 ، ص 24-25 .، حاجي جـ 2 ، ص 1747 ، الدوري ، ص 27 .

(2) أنظر، إبن كثير ، البداية و النهاية ، جـ 10 ، ص 109 .،إبن عماد، شذرات الذهب، جـ 1 ، ص 225 .، الواقدي ، جـ 1 ، ص 27.، الدوري ، ص 30 .

(3) منهم إبن سعد صاحب كتاب " الطبقات " و الطبري في " تاريخ الرسل والملوك " وإبن كثير في كتابه " البداية و النهاية "

(4) هو محمد بن إسحاق بن يسار ولد بالمدينة حوالي سنة 85 هـ، أخذ العلم عن كبار علمائها و حصل على مناهجهم في التأليف في ميدان السيرة و المغازي ويروى أنه كان له عدة منافسين منهم الإمام مالك بن أنس الذي لم يرض بطريقته في الأحكام الشرعية التي طرحت عليه وقتئذ .

وأغلب الظنّ أنّ سيرة ابن إسحاق (ت 151 هـ/761م) هي أقدم سيرة تصل إلينا شبه كاملة عن طريق رواية ابن هشام عن الكلبي، رغم أنّهما حاولا تغيير بعض النصوص في أمكنة عديدة لعدم تناسبها مع اتجاه الفقهاء المحدثين (1) .

ويحتمل أن تكون خطة ابن إسحاق الأصلية في ميدان السيرة كانت تتألف من ثلاثة أقسام : أولا، المبتدأ وهي الفترة السابقة للإسلام . ثانيا، المبعث وهي رسالة النبي (صلى الله عليه وسلم) . ثالثا،غزوات الرسول (صلى الله عليه وسلم) وسرياه . غير أنّه إنتقده انتقادا شديدا في الأخطاء المرتكبة في موضوع الأنساب، وفي قلّة تمحيص المصادر التي اعتمد عليها، بالإضافة إلى إهماله للإسناد في أكثر الروايات .

ولذلك فقد حاول ابن هشام تهذيبها من وجهة نظر العلماء المحدثين، بدليل اعتمادها فيما بعد كمرجع أساسي لكثير من الفقهاء والمؤرخين الذي جاءوا بعد ذلك (2) .

ويظهر أنّ الدراسات في ميدان السيرة والمغازي قد تطورت تطورا كبيرا في المرحلة التالية، وهي المرحلة التي يحتلّ فيها محمد بن عمر الواقدي(*) الصدارة بكتابه المشهور بـ"المغازي" الذي يمثل الصورة الأخيرة من مراحل تطور السيرة النبوية الشريفة في القرنين الأول والثاني للهجرة .

---

(1) إبن هشام ، السيرة ، جـ 1 ، ص 4 .، حيث حذف منها الروايات الإسرائيلية و بعض المقتبسات المأخوذة من اهل الكتاب مثل المواضيع الخاصة ببدأ الخليقة و قصص الأنبياء و بعض الأشعار المنحولة . و قد إنتقد إبن إسحق على ذلك أشد الإنتقاد .

(2) انظر ، إبن كثير ، البداية و النهاية ، جـ 10 ، 109 .، الواقدي جـ 1 ، ص 27 .، إبن عماد ، شذرات الذهب ، جـ 1 ، ص 225 .، الدروي ، 30 .

(*) هو محمد بن عمرو (130-207هـ/748-823م) ، من أهل المدينة ، إتصل بالبلاط العباسي و إشتغل قاضيا في الرصافة في عهد الخليفة المأمون ، ويروى أنه كان من بين المهتمين بالجمع و النسخ و التأليف وقد سجل إبن النديم صاحب كتاب فهرست قائمة بأسماء مؤلفاته فنذكر منها " كتاب التاريخ الكبير ، و كتاب الطبقات " و عددا كثيرا من المقالات عن أخبار مكة ، وبيعة السقيفة ، و يوم الجمل ... بيد أنه لم يصلنا شيئ من هذا عدا بعض الإقتباسات التي نجدها منثورة في بعض كتب التاريخ الإسلامي ، وأهم ما طبع من كتبه كتاب فتوح إفريقية ، وفتوح البهنسا ، وأما كتابه "فتوح مصر و الشام " فلا يزال مخطوطا .أنظر ، شاكر مصطفى ، التاريخ و المؤرخون ، جـ1، ص63، الدوري ، ص 31-32 .، كاشف ، مصادر التاريخ ، ص 39-40.

وقد اقتصر الواقدي في كتابه هذا على الحديث عن الفترة المدنية فقط من حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وسلك فيه أسلوب الدقّة ومنهج التحرّي أكثر من أيّ آخر سبقه، فهو منتظم ومنطقي في تناول المادة التاريخية، فعرض أولا الإطار العام للموضوع ثمّ أعقبه بذكر التفاصيل ويبدأ بذكر قائمة المصادر الأساسية وبعدها يتطرق إلى ذكر رزنامة مرتبة لغزوات الرسول (صلى الله عليه وسلم) ثمّ أخذ بعد ذلك في تناول أحداثها بشيء من التفصيل مع مراعاة التسلسل الزمني للأحداث .

ويبدو واضحا للباحث أنّ من أهم المميزات التي تضع الواقدي في مرتبة خاصة بين المهتمين بالسيرة والمغازي هو تطبيقه للمنهج التاريخي العلمي في ترتيب المادة التاريخية وفي دقّة التحديد التاريخي لكلّ حدث يسجله، هذا فضلا عن ذكره لكثير من التفاصيل لا نجدها عند غيره، ومن ذلك المعلومات المفصلة عن مكان الحادث والمعركة، وحين يذكر المغازي التي قادها الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنّه يذكر من استخلفه من بعده، ويشير إلى سياسته إن اقتضى الأمر ذلك، ثمّ يذكر شعارات المسلمين في أغلب المعارك التي خاضوها في هذه الفترة، وهذا المنهج نلاحظ تطبيقه من قبل الواقدي في كلّ الغزوات التي تحدث عنها .

وإذا اقتضى نزول آية أو آيات قرآنية في إحدى الغزوات فإنّ الواقدي يذكرها منفردة و يذيّلها بالتفسير في نهاية أخبار الغزوة التي كانت سببا في النزول، وإلى جانب هذا نجد الواقدي أكثر الرواة إحتراما للإسناد، وأكثر دقّة في استعماله، كما أنّه فهم جيّدا طريقة استعمال الإسناد الجمعي حيث طبّقه بانتظام ليقدم الروايات الأساسية عن كلّ غزوة ثم يورد بعد ذلك بعض الروايات المكمّلة ليضيف بعض التفاصيل التي توصل إليها هو نفسه، وهذا ما يوضح مجهوده ويكشف منهجه الدقيق في التحري والضبط .

وفي المغازي الهامة يذكر الواقدي الشيء الكثير عن تفاصيل أحداثها لدرجة أنّه أحيانا يورد قوائم بأسماء الذين استشهدوا أو قتلوا في المعركة، وكذلك أسماء المشاركين فيها . وإلى جانب ذلك فلقد اهتمّ الواقدي بذكر الكثير من المظاهر التاريخية المتعلقة بالفترة الأولى من تاريخ الإسلام، مثل النشاط الزراعي، وطرق الأكل وأنواعه، وعادات الناس في دفن موتاهم وغير ذلك من المظاهر الإجتماعية للقبائل العربية .

وتجب الإشارة إلى أنّ الواقدي في كتابه المغزي لم يكن راويا للأحداث وإنّما كان

صاحب منهج نقدي قائم على الوعي الفني الدقيق في اختيار وتنظيم المادة التاريخية بدليل ذكر آرائه في معظم الأحداث التي سجلها (1) .

ولاشكّ أنّ هذا شيء جديد في كتب التاريخ الإسلامي لم نألفه من قبل عند المؤلفين الذين سبقوا هذا المؤرخ وحتى الذين سيأتون بعده(2)، ورغم ما يذكر من انتقادات الواقدي مثل بعض الاختلافات الواقعة في تواريخ بعض الحوادث، فإنّ كتاباته تعدّ بحق أكمل وأتمّ مصدر لتاريخ السيرة النبوية الشريفة .

وأعتقد أنّه لا ينافسه في هذه المكانة سوى "ابن سعد"(3) صاحب كتاب الطبقات الذي يهتم الجزء الأول منه بأخبار السيرة، وقد ذهب فيه إلى أبعد ما ذهب إليه الواقدي، سواء فيما يخص ترتيب المادة التاريخية وتبويبها أو فيما يتعلق بالمحتوى .

وفي الحقيقة فإنّ هذا القسم الذي ورد في مجلدين تضمّن مقدمة لفترة الرسالة، فتحدث بإيجاز عن بعض الأنبياء الذين لهم صلة برسالة محمد (صلى الله عليه وسلم)، ثمّ تحدث عن نسب الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وتوسع في الحديث عن صفاته وعن دلائل نبوته، كما اهتمّ اهتماما كبيرا بالسفارات التي بعثها الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الأمراء والملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام، وحرص ابن سعد على إيراد النصوص كما هي بصيغتها الأولى التي كتبت بها في بداية الأمر، وتعدّ هذه النصوص في نظر الباحثين المعاصرين وثائق حيّة لا يمكن الإستغناء عنها في أيّ بحث جادّ في التاريخ الإسلامي، أمّا القسم الثاني فهو عبارة عن تراجم لمشاهير الرجال وأعيان القوم من الصحابة الأجلاء ومن التابعين .

وتتميّز كتابات ابن سعد بملامح خاصة منها: اعتماده على أستاذه الواقدي اعتمادا

---

(1) كثيرا ما نجد ذكر العبارات التالية ، والثابت عندنا ، وهو مثبت ، و القول الأول أثبت عندنا ، و مجمع القول لا شك فيه ، و غير ذلك من العبارات التي تفيد ترجيح الكاتب لرأي على آخــــر .

(2) البلاذري مثلا توفي بعد الواقدي بسبعين سنة لا نجده يتدخل في الروايات لاعطاء رأيه الشخصي في الموضوع الذي يتحدث عنه. انظر ماسيأتي.

(3) هو محمد أبو عبد الله (168هـ - 230هـ/ 784م - 845م) ، عاش في المدينة ثم تنقل حتى انتهى به المطاف الى بغداد حيث استقر هناك، وفيها تعرف على الواقدي فدرس عنه ولازمه مدة طويلة .

الا انه كان اوفر منه مادة في بعض الاحيان، ولقد خلا كتاب الطبقات منآراء صاحبه الشخصية أو الملاحظات الذاتية، بحيث أنّه أسند معظم الروايات إلى مصادرها دون تدخل ولقد أدّت العناية به إلى التدقيق في تفاصيل حياة الصحابة لدرجة أنّه خصّص جزءً هاما للصحابيات أيضا .

والظاهر أنّه على يد ابن سعد وشيخه الواقدي اتضح الهيكل العام للدراسات التاريخية في ميدان السيرة والمغازي، حيث طبّق فيها المنهج الإسلامي في رواية الخبر ونقده بالطريقة التي أشرت إليها سابقا، ولذلك نلاحظ أنّ المهتمّين بالسيرة النبوية سيتّبعون نفس الخطة ويعتمدون في مادتهم التاريخية على المؤلفات المذكورة أعلاه .

بيد أنّ اهتمام المسلمين بعد هذا لم يعد قاصرا على ميدان السيرة وأحداث المغازي، وإنّما توسع مجال اهتماماتهم إلى أحداث أخرى من التاريخ الإسلامي، فكتبوا مؤلفات تحمل عناوين مختلفة، وتخدم معظمها المعرفة التاريخية خدمة كبيرة أضحت معالم تاريخية هامة في فترات مختلفة من فترات التاريخ الإسلامي، فتحدثت عن أخبار الأمم السابقة للأمة الإسلامية، وفصّلت في الحديث عن مظاهر تاريخ العرب في الجاهلية تمهيدا للحديث عن الإسلام ودولته، ويتضح ذلك على يد مؤرخين رواد سنحاول الحديث عنهم في الفصل التالي .

الفصل الثاني

(المؤرخون الرواد ومميّزاتهم)

1 – المميزات العامة :

تسهيلا لمهمّة الباحثين في التاريخ الإسلامي أرى من الأحسن التعرّض بإيجاز لخصائص منهج هؤلاء المؤرخين قبل الحديث عنهم وعن مؤلفاتهم .

إنّ أهمّ ميزة تميّزت بها هؤلاء هي اعتمادهم على ترتيب المادة التاريخية ترتيبا زمنيا، وهو ما يعرف بنظام الحوليات، فكانوا يؤرخون للأحداث سنة بعد سنة، بحيث سجلوا مختلف الحوادث وجمعوها حسب زمن وقوعها، ثمّ عرضوها مرتبة لا تربطها سوى كلمة "وفيها" أي وفي هذه السنة وقع كذا وكذا، حتى إذا انتهت حوادث السنة الواحدة انتقلوا إلى حوادث السنة الموالية، فيستخدمون لفظة "ثمّ دخلت سنة كذا" أو "ثمّ جاء في سنة كذا".

والظاهر أنّ هذه الطريقة لم تكن سوى وسيلة لعرض المادة التاريخية، أمّا تأثيرها على المحتوى العام للأحداث التاريخية فلا يعدوا أن يكون ضمانا لاستمرارية الأحداث وتنسيقا للمادة لا غير .

ولا شكّ أنّ عيب هذه الطريقة يتأكد كلّما حاول الباحث أخذ صورة عامة عن الحدث المتتابع أي الذي تجاوزت أحداثه إلى عدد من السنين حيث يجد الموضوع ممزقا بين تلك السنوات، ومن ثمة يضطرّ الباحث إلى تتبّع المؤرخ في كلّ السنوات التي يذكر فيها تطور أحداث هذا الموضوع .

ولقد كان عميد هذه الطريقة هو المؤرخ "الطبري" (1) ويبدو أنّ المؤرخين المسلمين قد كانوا يعتقدون أنّ هذا التنظيم أي النظام الحولي هو الصورة المثالية الملائمة للتحكم في المادة التاريخية والتمكّن من عرضها على القارئ في أحسن وجه .ولذلك قصر اهتمامهم على الحقائق المجردة، التيوجدوها مدونة في المصادر التي سبقتهم أو نقلوها –بطريقة الإسناد– عن الرواة الذين عاصروهم أو سمعوا منهم، وبقدرما يسهل نظام الحوليات طريقة عرض المادة بقدر ما يصعّب مهمة الباحث في تتبّع الصور الشاملة للأحداث الكبرى وخاصة فيما يتعلق بالميادين الحضارية والفكرية .

(1)سيأتي الحديث عنه في الفصل الثالث ، ص 69

وفي الحقيقة فإنّ هناك بعض المؤرخين المسلمين الأوائل انتقدوا هذه الطريقة، وحاولوا إهمالها بقدر ما سمحت لهم طبيعة الأحداث التي كانوا يكتبونها، ويأتي في طليعة هؤلاء المؤرخ "ابن الأثير" (1) الذي حاول إيجاد نظام آخر أكثر نضوجا وأعمق فعالية من نظام الحوليات هو نظام "الموضوعات"، ويعني إلتزام المؤرخ طريقة التأريخ على أساس تعاقب الدول أو الخلفاء، أو دور الأسر والقبائل وغير ذلك ممّا كانوا يرونه مهمّا ليكون عنوانا لعرض المادة التاريخية .

والظاهر أنّ فكرة هذا النظام قد أوحتها لهم طبيعة المادة التاريخية لعصور ما قبل الإسلام، حيث كانت الأحداث تفتقر إلى التحديد الزمني والمكاني أيضا، وكانوا مضطرين إلى عرض هذه الأحداث تحت عناوين مختلفة منها ما هو على أساس الدول والأمم ومنها ما هو على أساس الأنبياء والديانات السابقة للدين الإسلامي .

ولم يكن هذان النظامان أهمّ ما يميّز كتابات المؤرخين المسلمين، بل هناك مميزات أخرى تستحق الوقوف عندها قبل الحديث عن المؤرخين وكتاباتهم، ومنها :

1- أغلبهم يبدأون كتابة التاريخ الإسلامي بمقدمة يتناولون فيها بداية الخليقة ومهبط سيدنا آدم عليه السلام، ويخصصون حديثا يطول ويقصر حسب ما توفر لديهم من مادة عن الأمم السابقة عن الإسلام .

2- معظم كتاباتهم يمكن تقسيمها إلى قسمين أساسيين، الأول لم يعاصره المؤرخ وإنّما نقله عمّن سبقه من الرواة والإخباريين وما جاء في كتب من سبقوه في هذا الميدان، وهذا القسم في عمومه غير مهمّ بالقياس بالقسم الثاني وهو الأحداث التي عاصرها المؤرخ ولاحظ أعراضها ومظاهرها أو شارك في بعض أحداثها .

3- يلاحظ أنّ كلّ مؤرخ قد استفاد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بمن سبقه، سواء أكان ذلك على مستوى المادة التاريخية أو الطريقة في العرض والترتيب، وتجمعهم في ذلك استفادتهم الكبرى من كتب السيرة والمغازي وكتب الأنساب ومدونات الشعر والقصص الأدبية .

4- تميّز أكثرهم بالتحكم في هذه المادة وحسن إستغلالها في خدمة التاريخ الإسلامي، ومن ثمّة فقد حاولوا إيضاح البعد التاريخي للأمّة الإسلامية إيضاحا يكاد يكون شاملا لولا تقصيرهم في الحديث عن مظاهر جوهرية في صميم التاريخ الإسلامي

(1) عنه أنظر الفصل الثالث من هذا الكتاب ، ص82

مثل القضايا الحضارية والفكرية، ويمكن أن نلتمس لهم العذر في ذلك لأنّ مثل هذه القضايا يصعب الإلمام بها نظرا لبطئ تشكّلها واحتياجها إلى مجهود كبير سنلاحظه بعد ذلك في كتابات المختصين بهذا اللون من المعرفة في تاريخ الحضارة الإسلامية .

5- ومن مميّزاتهم أيضا اندفاعهم إلى التأليف في التاريخ بمحض إرادتهم ودون أيّ تدخل من السلطة أو الحكام، ولذلك كانوا مستقلين بالرأي، كما أنّهم أظهروا رغبة شديدة في الاستفادة من الرحلات العلمية حيث جابوا معظم حواضر الإشعاع الثقافي والحضاري في أرجاء العالم الإسلامي، وذلك بدافع الفضول و الحبّ في اقتناص الحكمة

6- إستفاد معظمهم من منهج المحدثين في تقصّي الأخبار وتوثيقها توثيقا دقيقا .

7- معظم الكتابات التاريخية للمؤرخين المسلمين لم تتأثر بشكل من أشكال الكتابات الأجنبية عدا ميلهم إلى كتب التاريخ الفارسية القديمة سواء أكان ذلك فيما يخص المنهج أو ترتيب المادة التاريخية .

8- إسقاط الإسناد، وبسقوطه انقرضت أهمّ صلة تصل التاريخ بعلم الحديث وصار التاريخ منذئذ مستقلا بمنهجه الخاص، ولا يعني هذا أنّ الإسناد قد انقطع كلّية وإنّما له انصاره، بيد أنّ الفكرة التي شاعت عند هؤلاء المؤرخين هي الإشارة إلى المصادر في بداية كلّ تأليف تاريخي .

9- تزايد الاعتماد على الوثائق، وخاصة الوثائق الرسمية كنصوص المراسلات السلطانية أو الخطب، وهذه الظاهرة نجدها واضحة عند المؤرخين الموظفين في الإدارة أو كانت لهم خدمات فيها، أمّا بعضهم فقد سجلّها في المحفوظات الديوانية وذلك بعد تطور هذه الأخيرة نتيجة تطور أساليب الإدارة الإسلامية والتوسع في استخدام الورق .

10- إدخال بعض المحسنات اللفظية والاعتناء بالأسلوب الأدبي في سرد الأخبار التاريخية .

11- إهمال جزئي وأحيانا كلّي لقسم تاريخ ما قبل الإسلام، والاقتصار على الافتتاح برسالة محمد (صلى الله عليه وسلم)، وذلك بهدف التركيز على التاريخ الإسلامي وحده .

12- إدخال بعض التراجم سواء أثناء سرد الروايات التاريخية، أو في نهايتها عند ذكر ما يسمّونه بباب الوفيات .

13- أخذ بعضهم يعتمد على مناقشة الأحداث وانتقاد الروايات انتقادا منطقيا باستخدام الأدلّة العقلية، ومن ثمّة أخذ التاريخ الإسلامي يتحرّر شيئا فشيئا من بعض

وفي الحقيقة فإنّ هناك بعض المؤرخين المسلمين الأوائل انتقدوا هذه الطريقة، وحاولوا إهمالها بقدر ما سمحت لهم طبيعة الأحداث التي كانوا يكتبونها، ويأتي في طليعة هؤلاء المؤرخ "ابن الأثير" (1) الذي حاول إيجاد نظام آخر أكثر نضوجا وأعمق فعالية من نظام الحوليات هو نظام "الموضوعات"، ويعني إلتزام المؤرخ طريقة التاريخ على أساس تعاقب الدول أو الخلفاء، أو دور الأسر والقبائل وغير ذلك ممّا كانوا يرونه مهمّا ليكون عنوانا لعرض المادة التاريخية .

والظاهر أنّ فكرة هذا النظام قد أوحتها لهم طبيعة المادة التاريخية لعصور ما قبل الإسلام، حيث كانت الأحداث تفتقر إلى التحديد الزمني والمكاني أيضا، وكانوا مضطرين إلى عرض هذه الأحداث تحت عناوين مختلفة منها ما هو على أساس الدول والأمم ومنها ما هو على أساس الأنبياء والديانات السابقة للدين الإسلامي .

ولم يكن هذان النظامان أهمّ ما يميّز كتابات المؤرخين المسلمين، بل هناك مميزات أخرى تستحق الوقوف عندها قبل الحديث عن المؤرخين وكتاباتهم، ومنها :

1- أغلبهم يبدأون كتابة التاريخ الإسلامي بمقدمة يتناولون فيها بداية الخليقة ومهبط سيدنا آدم عليه السلام، ويخصصون حديثا يطول ويقصر حسب ما توفر لديهم من مادة عن الأمم السابقة عن الإسلام .

2- معظم كتاباتهم يمكن تقسيمها إلى قسمين أساسيين، الأول لم يعاصره المؤرخ وإنّما نقله عمّن سبقه من الرواة والإخباريين وما جاء في كتب من سبقوه في هذا الميدان، وهذا القسم في عمومه غير مهمّ بالقياس بالقسم الثاني وهو الأحداث التي عاصرها المؤرخ ولاحظ أعراضها ومظاهرها أو شارك في بعض أحداثها .

3- يلاحظ أنّ كلّ مؤرخ قد استفاد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بمن سبقه،

سواء أكان ذلك على مستوى المادة التاريخية أو الطريقة في العرض والترتيب، وتجمعهم في ذلك استفادتهم الكبرى من كتب السيرة والمغازي وكتب الأنساب ومدونات الشعر والقصص الأدبية .

4- تميّز أكثرهم بالتحكم في هذه المادة وحسن إستغلالها في خدمة التاريخ الإسلامي، ومن ثمّة فقد حاولوا إيضاح البعد التاريخي للأمّة الإسلامية إيضاحا يكاد يكون شاملا لولا تقصيرهم في الحديث عن مظاهر جوهرية في صميم التاريخ الإسلامي

(1) عنه أنظر الفصل الثالث من هذا الكتاب ، ص82

مثل القضايا الحضارية والفكرية، ويمكن أن نلتمس لهم العذر في ذلك لأنّ مثل هذه القضايا يصعب الإلمام بها نظرا لبطئ تشكّلها واحتياجها إلى مجهود كبير سنلاحظه بعد ذلك في كتابات المختصين بهذا اللون من المعرفة في تاريخ الحضارة الإسلامية .

5- ومن مميّزاتهم أيضا اندفاعهم إلى التأليف في التاريخ بمحض إرادتهم ودون أيّ تدخل من السلطة أو الحكام، ولذلك كانوا مستقلين بالرأي، كما أنّهم أظهروا رغبة شديدة في الاستفادة من الرحلات العلمية حيث جابوا معظم حواضر الإشعاع الثقافي والحضاري في أرجاء العالم الإسلامي، وذلك بدافع الفضول و الحبّ في اقتناص الحكمة

6- إستفاد معظمهم من منهج المحدثين في تقصّي الأخبار وتوثيقها توثيقا دقيقا .

7- معظم الكتابات التاريخية للمؤرخين المسلمين لم تتأثر بشكل من أشكال الكتابات الأجنبية عدا ميلهم إلى كتب التاريخ الفارسية القديمة سواء أكان ذلك فيما يخص المنهج أو ترتيب المادة التاريخية .

8- إسقاط الإسناد، وبسقوطه انقرضت أهمّ صلة تصل التاريخ بعلم الحديث وصار التاريخ منذئذ مستقلا بمنهجه الخاص، ولا يعني هذا أنّ الإسناد قد انقطع كلّية وإنّما له انصاره، بيد أنّ الفكرة التي شاعت عند هؤلاء المؤرخين هي الإشارة إلى المصادر في بداية كلّ تأليف تاريخي .

9- تزايد الاعتماد على الوثائق، وخاصة الوثائق الرسمية كنصوص المراسلات السلطانية أو الخطب، وهذه الظاهرة نجدها واضحة عند المؤرخين الموظفين في الإدارة أو كانت لهم خدمات فيها، أمّا بعضهم فقد سجّلها في المحفوظات الديوانية وذلك بعد تطور هذه الأخيرة نتيجة تطور أساليب الإدارة الإسلامية والتوسع في استخدام الورق .

10- إدخال بعض المحسنات اللفظية والاعتناء بالأسلوب الأدبي في سرد الأخبار التاريخية .

11- إهمال جزئي وأحيانا كلّي لقسم تاريخ ما قبل الإسلام، والاقتصار على الافتتاح برسالة محمد (صلى الله عليه وسلم)، وذلك بهدف التركيز على التاريخ الإسلامي وحده .

12- إدخال بعض التراجم سواء أثناء سرد الروايات التاريخية، أو في نهايتها عند ذكر ما يسمّونه بباب الوفيات .

13- أخذ بعضهم يعتمد على مناقشة الأحداث وانتقاد الروايات انتقادا منطقيا باستخدام الأدلّة العقلية، ومن ثمّة أخذ التاريخ الإسلامي يتحرّر شيئا فشيئا من بعض

الخرافات التي علقت به لظروف سياسية ومذهبية .

14– لم يكن التكوين العلمي الأساسي لمختلف المؤرخين متشابها، حيث نجدهم دخلوا إلى هذا العلم من اختصاصات مختلفة، و الاهتمام بالتاريخ لم يكن نتيجة الانصراف التام إليه بقدر ما كان نوعا من الهواية والميدان الحرّ يمارس دون استعداد مسبق

15– كثرة الرحلات بين أقطار العالم الإسلامي أثّرت تأثيرا كبيرا في تدوين التاريخ الإسلامي عامة وتاريخ الأقاليم المختلفة خاصة .

16– تطور ونمو المادة التاريخية أظهرت أنواعا جديدة من تواريخ المدن والأسر والطبقات، وقد ألّف في هذا الموضوع جمهور كبير من المؤرخين وأنجزوا مؤلفات ضخمة في كلّ اختصاص .

17– لبّت هذه المؤلفات الإحتياجات السياسية والفكرية وصارت مطلبا جماهيريا بعد أن قامت بدور هام في تغطية حاجات المؤسسات الإدارية (1) .

18– تأثر كتابات هؤلاء المؤرخين بالحركة العلمية الواسعة التي أخذت تنمو باستمرار في مختلف المجالات، كالفلسفة والفلك والجغرافية، والرحلات كلّها أثّرات بشكل أو بآخر في التدوين التاريخي، وقد استخدمت المعطيات الأساسية لكثير من العلوم في بعض الكتب التاريخية وعلى مستويات مختلفة، حسبما توفر للمؤرخ من الاطلاع . وقد ظهرت إثر ذلك كتابات تاريخية اقتحم مؤلفوها ميادين جديدة في السياسة والإدارة وفي تاريخ الفرق والمذاهب، وفي الجغرافيا وأدب الرحلات كما سنرى .

ومع كلّ هذه المميّزات فإنّه لا يمكن إنكار ما لكتابات المؤرخين المسلمين من نقائص يجب على الباحثين الناشئين الاحتراز منها ، ويمكن إيجازها فيما يلي :

– النقل المبالغ فيه عن مؤلفات من سبقهم نقلا يكاد يكون حرفيا في بعض الأماكن حتى يتجاوز حدود المعقول أحيانا (2) دون الإشارة الصريحة إلى مصدر الروايات التي اعتمدوا عليها .

– إيرادهم لعدّة روايات متناقضة أحيانا تتعلق بموضوع واحد، أو الخلط بين الروايات الصحيحة والروايات الخيالية، ولعلّ ذلك راجع إلى رغبة بعضهم في الاستطراد

(1) وذلك مثل كتب الوزراء و القضاة وكتب الأحكام السلطانية ،وكتب الخراج والحسبة و غيرها . أنظر ما سيأتي .

(2) يبدوا أنّ هذه الظاهرة كانت معروفة لديهم بشكل واسع ،والظاهر أنهم كانوا لا يتحرجون منها لقلة التدوين وغلاء التكاليف و الورق و غير ذلك .

الذي يخرج القارئ أحيانا عن الموضوع الأساسي .

– إستخدامهم لبعض الروايات الصعبة الإحتمال، والمبالغة في الإحصائيات وعدم التعرض لنقدها أو مجرد إبداء الشكّ في صحّتها .

– ومن النقائص الشائعة عند بعضهم الميل المذهبي بحيث يعتمد بعض المؤرخين على الروايات التي تمجد الحزب الذي ينتمي إليه أو يتعاطف معه وذلك على حساب الحقيقة التاريخية مثلما وقع لتاريخ الأمويين في المشرق على يدي المؤرخين الذين يؤيدون المذهب الشيعي .

إهتمام المؤرخين بالتاريخ الإسلامي ومحاولتهم وضع تاريخ شامل جعلهم يقعون في أخطاء منهجية هي ندرة الحديث عن تاريخ غير المسلمين، ومن ثمّة فإنّهم وإن كانوا قد نجحوا في إعطاء الصورة الشاملة لتاريخ العالم الإسلامي فقد فشلوا في تحقيق ذلك بالنسبة لتاريخ الشعوب الأخرى التي كانت تعاصرهم، وقد نلتمس لهم العذر حين نعرف أنّهم كانوا يظنون أنّ عالمهم هو المتحضر وهو الذي يستقطب أنظار البشرية وقتذاك، هذا فضلا عن بعد المسافة وصعوبة الاتصال بين الأمم والشعوب وقتئذ، هذا إلى جانب قلّة اهتمام المؤرخين المسلمين بترجمة الكتب التاريخية إلى جانب إخوانهم الذين اهتموا بكتب الفلسفة والفلك ومختلف العلوم الأخرى .

وقبل إنهاء الحديث عن مميزات منهج كبار المؤرخين المسلمين ورواد التاريخ الإسلامي، يستحسن توجيه كلمة موجزة إلى الباحثين الناشئين في هذا الفرع الهام من فروع التاريخ، ويتلخص هذا التوجيه في الخطوات الميدانية التي نرى من الضروري أن تراعي قبل الدخول في ميدان البحث وهي :

* ضرورة معرفة الباحث لترجمة المؤلف والعوامل التي أسهمت في تكوين شخصيته وبيان طريقته ومنهجيته في الكتابة التاريخية، كما يستحسن بل من الواجب على الباحث معرفة إتجاهات المؤرخ المذهبية والظروف السياسيةالتي كانت تحيط به .

ولعل معرفة المؤلف حق المعرفة تسمح للباحث إدراك قيمة المصدر وقيمة النصوص التاريخية التي تختلف بطبيعة الحال باختلاف مؤلفيها، سواء من حيث قربهم أو بعدهم من الأحداث (الطرق والوسائل التي منها اعتمدوا عليها كالمعاينة الشخصية للحدث أو اقتناء بعض المخطوطات النادرة .

* على الباحث أن يأخذ موقفا من تعدد الروايات في الوضوع الواحد، ولا يعمل

على ترجيح الأكثرية على الأقلية من الروايات لأنّ ذلك لا يقوده إلى الوصول إلى الحقيقة التاريخية في التاريخ الإسلامي .

* ضرورة متابعة القضايا التي اختلفت فيها الروايات متابعة جيّدة لعلّ الباحث يصل إلى حقيقة تاريخية تمكّنه من ترجيح رواية عن أخرى .

* على الباحث أن لا ينخدع بتعدد روايات حول أحداث أو قضايا غير واقعية، لأنّها قد تكون مأخوذة من مصدر واحد .

* يجب على الباحث أن يحترز من الحكم على الشيء المجهول عنده بعدم وجوده في المصدر الذي اعتمد عليه، لأنّه قد يكون صاحب هذا المصدر قد أشار إليه أثناء إستطراده في الحديث عن موضوع آخر وفي مكان آخر كان الباحث قد اعتبره خارج عن موضوعه الذي هو بصدد البحث فيه.

2 – المؤرخون الرواد :

لقد وضع تاريخ فجر الإسلام وفق منهج أهل الحديث وأخذت ظاهرة الإهتمام بالتاريخ تتسع بإهتمام المسلمين بالحديث .

ولما صارت تجربة الأمة الإسلامية و مواقف قادتها تشكل إحدى مصادر التشريع الإسلامي زاد الإنشغال بالدراسات التاريخية للأمة الإسلامية

ومن المؤكد أن قضايا سياسية واجتماعية و حضارية كانت قد طرحت بإستمرار تطور الدولة الإسلامية ، وتطلب البحث في التاريخ الإسلامي كميدان لإيجاد الحلول لتلك القضايا المطروحة .

ولقد شهد القرن الثاني للهجرة موجة من الأخباريين الذين نشطوا في ميدان جمع الروايات التاريخية و القصص ذات الصلة الوثيقة بهذا الموضوع حتى صارت هذه العملية تعد ظاهرة ثقافية في ذلك العصر .

و في الحقيقة فإن إهتمام الأخباريين لم ينحصر في موضوع واحد من مواضيع الدراسات التاريخية و إنما شمل أغلب المظاهر الإجتماعية و السياسية ، و لما كانت مؤلفات هؤلاء الأخباريين مفقودة لحد الآن ، ولم يصل الينا منها سوى ما اقتبسه المؤرخون الكبار فيمابعد ، فإنه يصعب تقدير مجهوداتهم في بناء التاريخ الإسلامي .

ومع ذلك فإنه يمكن القول أن إهتمامات الإخباريين قد انتجت مادة تاريخية هامة

تنوعت أساليبها و تشعبت مضامينها ، ولقد تطورت الأساليب و المضامين بالتطور الإجتماعي للأمة الإسلامية ، و ازدياد الحاجة الى البحث العلمي بظهور حركة الترجمة و النقل ، و الرحلة في طلب العلم و تقصي الأخبار ، وظهور صناعة الورق وغير ذلك مما يدخل في دفع عجلة التطور الدراسات التاريخية ، و هذا فضلا عن الخط الأساسي الذي سلكه الخلفاء العباسيون في تنظيم الدولة من أجل توحيد الجهود لبناء الإتجاه الحضاري للدولة الإسلامية من الناحية النظرية و العملية أيضا (1) .

ومما لا شك فيه أن العصر الذهبي للنمو الحضاري للخلافة العباسية و تياره الفكري قد أفرز العديد من المؤرخين غير المقيدين بخدمة إتجاه معين بل على العكس من ذلك فإنهم حاولوا جادين في الإستفادة ممن سبقوهم في هذا الميدان سواء على مستوى المادة التاريخية التي وجدوها جاهزة أو على مستوى ما وفره لهم الجو الثقافي الذي عاصروه ، فلم يقتصروا الحديث عن السيرة و المغازي كما أنهم لم يعتمدوا على الأخباريين و كتاب الأنساب ، بل شملت عنايتهم كل ما يهم الأمة و يخدم حاجتها و كان عملهم في ذلك قائما على الإنتقاء الدقيق من المادة التاريخية الموروثة و الإتجاه بها الى أفق عالمي شامل ، و يأتي على رأس هؤلاء المؤرخين (2) .

أ– ابن خياط (خليفة بن خياط الليثي ولد حوالي 160هـ، وتوفي حوالي 240 هـ) (+)

صاحب كتاب التاريخ ،الذي يتميز فيه بإتباع الطريقتين الأساسيتين في عرض المادة التاريخية ، الطريقة الأولى هي طريقة الطبقات حين يتحدث عن الرجال و أهم الأعلام ، و الطريقة الثانية هي طريقة الحوليات أي ترتيب مادته التاريخية حسب تسلسل السنوات ، وهاتان الطريقتان ستكونان في المستقبل من الطرق الرئيسية المفضلة لدى المؤرخين المسلمين ، وتتصل منهجية ابن خياط بمنهجية المحدثين فهو يهتم بالإسناد فيما يتعلق بالأحداث و يهمله في حديث عن الطبقات، ويكشف هذا المؤرخ عن إهتمامات تاريخية لا نجدها عند غيره بحيث كان يرتكز على ذكر اسماء الشهداء في الغزوات و يحرص

(1) من هذا التجاه راجع كتابنا «أبحاث وأراء في تاريخ المشرق» سيصدر قريبا إن شاء الله.

(2) سنحاول هنا ترتيب المؤرخين المسلمين ترتيبا زمنيا أي حسب سني وفاتهم وذلك حتى نتمك من تقييم مؤلفاتهم حسب العصر الذي عاشوا فيه ، وذلك من حيث قدم المصدر بالمقارنة مع بقية المصادر التي ستأتي بعده .

(+) فقيه مشهور ، اهتم بدراسة الحديث النبوي الشريف و التأليف فيه ، له كتب عديدة يهمنا منها كتابه في التاريخ المعروف بتاريخ ابن خياط. انظر ابنخلكان،وفيات الأعيان ،ج1، ص172، خير الدين الزركلي ، الاعلام،ج2،ص321.

على الحديث عن مواقع المعارك، كما أنه يقدم قوائما تكاد تكون شاملة بأسماء العمال والولاة في عهود مختلف الخلفاء الذين ذكرهم ، ولذلك فإنه من هذه الناحية يعد كتابه مصدرا هاما من مصادر النظام الإداري للدولة الإسلامية .

و ينفرد ابن خياط بمعلومات هامة عن تاريخ صدر الإسلام و تاريخ المغرب و لعل اهمية كتابه تكمن في كونه أقدم مصدر للتاريخ الإسلامي لحد الآن .

ب- الزبير بن بكار (166هـ - 250) (1) .

وهو صاحب كتاب " الأخبار الموفقيات " ، وهو عبارة عن مجموعة أخبار تتناول مواضيعا متعددة ، أكثرهايتعلق بأحداث تاريخية سياسية و حربية وإدارية و إجتماعية تخص الدولة الإسلامية .

و كل خبر يدور عادة حول إحدى الشخصيات البارزة في الدولة كالخلفاء و الأمراء وكبار القادة و العلماء .

و تختلف هذه الأخبار من حيث القصر و الطول ، فبعضها قصير جدا لا يتجاوز بضعة أسطر ، وبعضها يبلغ عدة صفحات.

اعتمد هذا المؤرخ على منهجية قوامها تقسيم الأخبار الى أبواب كما إعتنى بإختيار الصحيح من هذه الأخبار ، ويذكر في أغلب الأحيان رواته ورجال سنده لتعزيز صحة الخبر الذي أورده .

و أما من حيث الأسلوب فأغلب ما جاء في كتابه الموفقيات رغم سعة حجمه يعتمد على الأسلوب الرصين الواضح و يخلو في أغلب الأحيان من التكلف .

و لعل أهمية كتاب " الموفقيات " لا تظهر في منهجية الكتابه ، وإنما في ما أورده من معلومات تاريخية ، بحيث أننا نلاحظ كثيرا من الأخبار قد إنفرد بها دون غيره ، ولا يستبعد أن يكون كثير من المؤرخين العرب المسلمين قد اعتمدوا عليه في بعض الروايات أمثال المؤرخ الطبري ، وابن قتيبة كما سنرى .

---

(1) نشأ في الحجاز ودرس عن كبار شيوخها ، حتى صار من أبرز علمائها ألف كتبا عديدة في علم الأنساب و أخبار العرب و غيرها ، وقد ضاعت معضمها للأسف عدا بعض ما روي عنه ، وما تبقى لدينا من نقول تدل على سعة علمه ودقة ملاحظته ، وقد امتدحه كثير من المؤرخين المسلمين .

جـ - البلاذري (أحمد يحي بن جابر، ت 27هـ/872م) (1) ، ألف كتبا عديدة اشهرها " كتاب فتوح البلدان" و كتاب " أنساب الأشراف " .

فتوح البلدان ، اقدم كتاب في التأليف التاريخي بوجه عام ، يهتم كما يظهر من عنوانه بحركات الفتوحات الإسلامية للأقاليم و الأمصار ، ولقد أشار في مقدمة كتابه الى مصادره التي أخذ منها المادة التاريخية ، وهي كثيرة و متنوعة « أخبرني جماعة من أهل العلم بالحديث و السيرة و فتوح البلدان ، سقت حديثهم و إختصرته و رددت من بعضه على بعض » ، ولقد أخذ البلاذري معلومات من الكتب الخاصة بفتوحات كل مصر - المفقودة الآن - كما أخذ من الأمراءوالجنود الذين شاركوا في عمليات الفتح ، وكذلك إعتمد على الروايات المتداولة في الأمصار التي زارها خصيصا لجمع أخبار الفتح الإسلامي فيها .

ولم يكتف هذا المؤرخ بالإشارة الى مصادره في مقدمة الكتاب فحسب ، و إنما طبق منهج الإسناد في بعض الأقسام من كتابه «فتوح »، و أهمله في اقسام أخرى حين رأي أنه لا لزوم لذلك .

ويمكن تقسيم الكتاب زمنيا الى قسمين رئيسيين.

1) أخبار الفتوح التي تمت في عهد النبي (ص).

2) أخبار الفتوح التي تمت بعد وفاة النبي (ص).

فإسناده في القسم الأول يتسم بشيئ من الدقة، وكثيرا ما كان ينهيه الى الصحابي الذي روى أي المصدر الأول للخبر التاريخي ، أما في القسم الثاني فإنه يلاحظ عليه الإهمال النسبي لهذا التوثيق رغم أنه حاول في بعض الأحيان أن يصل الى إسم الراوي الأول الذي شاهد الواقعة .

و أهمية الكتاب بقسميه تظهر فيما اورده من معلومات ثقافية و اقتصادية و إدارية قلما نجدها في كتب التاريخ الأخرى ، مثل منازل القبائل العربية بعد الفتح ، و إنشاء

---

(1) ولد في أواخر القرن الثاني للهجرة ، نشأ في بغداد ، و أخذ العلم عن كبار علمائها منذ حداثة سنه ، و بعد أن تطلع في مختلف العلوم أخذ في الرحلة الى بلدان المشرق ليكمل تعليمه ، و له مؤلفات عديدة أشهرماوصل الينا في ميدان التاريخ منها فتوح البلدان ، أنساب الأشراف ، انظر ، فتوح البلدان ، مقدمة المحقق رضوان محمد رضوان .

المرافق العامة في المدن و الحواضر ، و سياسة الامراء في المناطق المفتوحة ، وظاهرة الهجرات القبلية و مسالكها .

و تجب الإشارة الى أن الباعث الى تأليف هذا الكتاب كان باعثا تشريعيا اراديا ، إذ أنه يهتم بمعرفة حال الإقليم المفتوح هل فتح عنوة أو صلحا ، لأن ذلك يساعد الارادة الضرائبية في التصرف في الشؤون المالية للمنطقة – جباية ضرائب الأراضي على وجه التحديد – و مما يدل على ذلك إفراد البلاذري الفصلين الأخيرين للحديث عن أحكام الخراج وأصول العطاء في عهد عمر بن الخطاب ووضع هذه الأسس الإدارية في تاريخ الدولة الإسلامية .

و أخيرا يمكن القول أن البلاذري قد بذل مجهودا معتبرا في جمع مادة هذا الكتاب لدرجة أنه كان قد رحل الى الشام ليأخذ عن أهلها ، و فعل نكل أيضا في الرقة و الثغور حتى انطاكيا هذا فضلا عن إستفادته من روايات " الواقدي " و" المدائني " و " ابن عبد الحكم " الى جانب إعتماده على كتب عصره ممن كانوا على إطلاع بتفاصيل أحداث الفتح في مختلف البلدان (1) .

ولقد كان البلاذري دقيقا فيما ينقل من أخبار و ترتيبها الترتيب المنطقي الميسّر الذي يسمح للباحث متابعة المواضيع رغم تشعبها ، و تظهر ميزة اسلوب الكاتب في حسن الإشارة الى بعض المظاهر الحضارية (2) دون أن يشعر القارئ أنه يستطرد أويخرج عن الموضوع .

ولعل أهم ميزة يمتاز بها كتابه هذا هو متابعة أخبار البلاد المفتوحة حتى عصره ، فوصف منالها في عهد الخلفاء العباسيين و هذا القسم من كتابه في غاية الأهمية ، رغم أنه حاول التنقيص من شأن الخلفاء الأمويين لحساب العباسيين الذين ينعت دولتهم بـ"المباركة" .

– كتاب أنساب الأشراف ، وهو شبه موسوعة ضخمة وعامة للتاريخ الإسلامي منظمة على شكل حديث عن الأنساب ، بدأ بسيرة النبي (ص) و سيرة الصحابة الأجلاء ثم تحدث عن أخبار العلويين فالعباسيين و لم يفرد للأمويين حديثا خاصا إلا في إطار نسب

(1) قال عنه المؤخر الكبير المسعودي – سيأتي ذكره – « لا نعلم في فتوح البلدان أحسن منه » ، و لقد صار هذا الكتاب المصدر الأساسي لأغلب المؤرخين الذين جاؤوا بعده .

(2) تحدث عن عملية تعريب الدواوين ، وعن النقود الإسلامية وكذلك الخط العربي وغير ذلك من المواضيع الحضارية الهامة

بني عبد شمس ، و لقد جمع المادة التاريخية لا على أساس تسلسلها الزمني و إنما حسب صلتها بعمود الأنساب ، فهي أشبه بمنهج كتب الطبقات و التراجم ، وتشمل في العموم على سيرة الأعيان من الأنساب ، فيتحدث عن ادوارهم و يستطرد في الحديث عن الحوادث العامة التي وقعت في عصرهم كظاهرة نمو الأحزاب السياسية و مظاهر الفتن والإضطرابات .

و لتسهيل تتبع الأحداث فإنه نظم كتابه تحت عناوين فرعية لتحديد المادة التاريخية .أما من حيث المنهج فقد إستعان البلاذري بمصادر إنتقاها بنفسه ثم انتقدها قبل أن يأخذ منها المادة التي كون بها كتابه ، ويبدو أن آراء المؤرخين قد استقرت في عهده حول الكثير من المواضيع ، لدرجة أننا لا نجده يشير الى الإسناد و إنما يستخدم بعض العبارات للدلالة عن مصادره مثل قوله قال « الواقدي في اسناده » و « قالوا » و « قال بعض أهل العلم» وبعض مصادره كانت شفاهية مثل قوله «حدثني..» و«قال لي...».

و الظاهر أن إنتقاء البلاذري للروايات لا تعني محاولة منه ترجيح اتجاه على حساب آخر ، إذ أنه حين يتطرق الى المواضيع الحساسة في التاريخ الإسلامي يفسح المجال للإيراد كثيرمن الروايات للحدث الواحد ليبررنفسه من الإنحياز إلى إتجاه معين

د – **إبن قتيبة** (عبد الله بن مسلم) 213-270هـ /828-883م (1) ، له كتب عديدة يهمنا منها –كتاب المعارف ، وهو عبارةعن موسوعة في المعرفة الإسلامية تمتزج فيها أغلب إهتمامات المثقف ، وفيه فكرة كتابة تاريخ عالمي ابتداء من عهد الخليقة الى عهد الخليفة العباسي المعتصم بالله .

إعتمد في نقل المادة التاريخية على كتب السيرة والمغازي و على روايات الواقدي و ابن الكلبي و غيرهما ، اما الروايات الشفهية التي يذكرها من حين لآخر فمعظمها مأخوذةعن شيوخه و علماء عصره و أدبائه نذكر منهم على سبيل المثال الأديب الموسوعي " الأصمعي " .

(1) أصله من خرسا ن، و يرجح أنه ولد في الكوفة و تعلم في البصرة ثم في بغداد ، وله مؤلفات عديدة و في مجالات مختلفة يهمنا منها ما يتعلق بالتاريخ .

أنظر الدراسة القيّمة التي قام بها ، د . إسحاق موسى ، إبن قتيبة ، هنا و هناك .

و الكتاب يشمل أنواعا كثيرة من الفنون و المعارف ، قال في مقدمته ، « و كتابي هذا يشمل على فنون كثيرة أولها مبدأ الخلق و قصص الأنبياء و أزمانهم .. ثم اتبعت أخبار رسول الله (ص) ثم الصحابة المشهورين ، ثم الخلفاء من لدن معاوية الى احمد بن المعتصم .. ثم التابعين من بعدهم من حملة الحديث و أصحاب الرأي .. و أصحاب الأخبار و رواة الشعر ..» ، لذلك جاء هذا الكتاب يشمل عدة مناهج ، دون الإلتزام بمنهج معين يمكن الحكم من خلاله على الكتاب و طبيعة منهجه وطريقة كتاباته ، فهو يعتمد على الإسناد في بعض الأحداث الإسلامية بيد أنه لا يتمسك بهذا المنهج إلا في حدود ضيقة جدا ، أما فيما يخص تاريخ ما قبل الإسلام فقد حول الإشارة الى بعض مصادره دون بيان أهميتها .

و تتميز المادة التاريخية بالحياد ، و بمحاولة التأكيد على الحقائق التاريخية إذ أنه لا ينتقد مصادره فحسب ، بل إنه حاول أن ينتقد المعلومات ايضا ، ولكن هذه الظاهرة لا نجدها معممة في كل كتبه حيث أننا نجده أحيانا يعتمد على الآراء السائدة و لا يتدخل ليبدي رأيه الشخصي رغم وضوح الخلل والتشويه في تلك المعلومات .

ومهما يكن فالكتاب ذو أهمية تاريخية لمايحويه من معارف عامة مختصرة احيانا و في أكثر الموضوعات شيوعا بين الطبقة المثقفة وقتئذ ، ولعله وضع لسد حاجة الكتاب وغيرهم من مثقفي ذلك العهد الى تاريخ موجز يحوي المعلومات الأساسية لكثير من الظواهر التاريخية قصد توظيفها في حل بعض الإستفسارات المطروحة وقتئذ (1) .

هـ - ابن طيفور (أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر المروزي) 204-280هـ/819م(2)

قائمة مؤلفاته طويلة تصل الى حوالي 56 كتابا حسب رواية ابن نديم صاحب كتاب الفهرست و ياقوت الحموى صاحب كتاب معجم الأدباء (3) .

و لم يبق من هذا الجهد سوى جزء من كتاب هو القسم السادس من كتاب " بغداد " مطبوع الآن في حوالي 100 صفحة (4) .

---

(1) للمزيد، انظر، الدوري، ص54، مصطفى شاكر،ج،ص246

(2) يعد الرجل شاعرا قبل أن يكون مؤرخا ، بدء حياته العلمية بالإشتغال بمهنة التعليم ثم لزم سوق الوراقين في بغداد التي لم يبرحها حتى وفاته .

(3) عن بعض مؤلفاته الأخرى ، راجع ،مصطفى شاكر ،ج1، ص246 .

(4)له كتاب " المنثور و المنظوم " يهتم بالحياة الثقافية في الدولة الإسلامية لا يزال مخطوطا غير كامل (ج11،ج12 .)

ويبدأ الكتاب بذكر خلافة المأمون العباسي و ينتهي بوفاة هذا الخليفة و يبدأ بن طيفور في هذا الجزء مؤرخا حسن الأطلاع ، وقد انفرد بعدد من الأخبار في عهد الخليفة المأمون لا نجدها عند غيره .

ومن غير المنطق أن نحاول في إعطاء صورة لمنهجية هذا المؤرخ و نحكم عليها من خلال ما حصلنا عليه من هذا الجزء .

وعموما فإن هذا الجزء يمكن أن يعطينا فكرة عامة عن أهمية الكتاب و مميزات ما كتب صاحبه ، فهو نادرا ما يشير الى مصادره ، يكتفي بذكر العبارة " قال فلان " و " حدثني فلان" و ذلك في كل مطلع خبر يورده في كتابه .

ولعل أهمية كتاب ابن طيفور تكمن في كونه أنه من الرعيل الأول من المؤرخين المسلمين الذي بدأ بكتابة التاريخ المحلي ، فكتابه عن بغداد – عاصمةالعباسيين – هو أول كتاب من سلسلة الكتب الطويلة التي سوف تظهر في تاريخ بغداد نفسها وفي غيرها من تواريخ المدن الإسلامية الهامة .

و - الدينوري (أبو حنيفة أحمد بن داود) ت282هـ/891م (1) وهو صاحب كتاب ، الأخبار الطوال ،

وخطة الكتاب تتناول مجمل الأحداث التاريخية طويلة المدة و المستمرة من حيث التسلسل الزمني ، فهو أشبه ما يكون بنموذج التاريخ العالمي ، ركز فيه على بعض الأحداث التي رآها هامة فتناولها بشيئ من التفصيل ، ولعل هذا الإختيار هو سرّ عنوان الكتاب

و يمكن تقسيم كتابه زمنيا الى ثلاثة أقسام ، القسم الأول و يبدأ بالحديث عن بداية الخليقة أي من بداية مهبط سيدنا آدم عليه السلام ثم يتعرض للأنبياء من بعده ، ثم أخبار بني إسرائيل و عرب الجزيرة البائدة ، أما القسم الثاني فهو خاص بتاريخ الفرس الساسانيين و الروم البيزنطيين .

وأما القسم الثالث وهو الأهم فيفتتحه بالتركيز على علاقة العرب بالعجم و تاريخ العرب القديم ، ولا يبدي إهتماما كبيرا بتاريخ الرسالة المحمدية ثم يتطرق الى حركة

---

(1) اشتهر بالرحلات في طلب العلم فتوسعت مداركه و تنوعت ثقافته و شملت كثيرا من العلوم ولقد أهلته هذه المكانة العلمية لأن يكون كاتبا بارعا و أديبا بليغا في البلاط العباسي ، إشتهر بتآليفه المتنوعة في ميدان الحياة الفكرية ، انظر مقدمة كتاب الأخبار الطوال بقلم المحقق" عبد المنعم عامر " و للمزيد راجع، الدور ، ص 54-55 ،ج 1 ،ص 247 . و عثمان حسن ، منهج البحث التاريخي ، ص 244-255 .

الفتوحات الإسلامية دون الوقوف الطويل على تاريخ الخلفاء الراشدين أو الأمويين عدا بعض الأحداث العامة كقضية الفتنة الكبرى ومعركة صفين و حركة الخوارج في المشرق ثم التركيز على معظم الحوادث الهامة التي تركزت أساسا على إقليم العراق حتى عصر المعتصم العباسي (سنة 227هـ) .

ومن دواعي الأسف إهمال الدينوري لأحداث عصره إهمالا بينا و لو سجلنا في كتابه هذا لكان له أهمية بالغة و مكانة هامة من بين المصادر الأساسية لتاريخ الدولة الإسلامية .

و يظهر من المادة التاريخية التي جمعها الدينوري أنها منقولة من مصادر فارسية و بعضها عن الإسرئيليات أما فيما يتعلق بالفترة السابقة عن الإسلام ، أما الفترة الإسلامية فيبدو أنه أخذها من المؤلفات والروايات السابقة ، مع الإعتماد البين على روايات الأخباريين من سكان العراق خاصة .

و رغم إشارة الدينوري لمصادره في مقدمة كتابه اشارة عامة فإنه لم يحترم المنهج الإسلامي في سرد الأحداث إذ أهمل الإسناد و لم يظهر أدنى محاولة للنقد والتحري فيما يكتب ، حسبه في ذلك ايراد الخبر لا صدقه و صحته ، و لعله أراد بما كتبه إعطاء ملخصات استلها من مؤلفات غيره .

ومن سلبيات هذا المؤرخ ايراده الشعر و إستشهاده به ، لدرجة أنه كان يورد أخبار الفرق و اتصالاتها شعرا . و لعل مصدر ذلك يرجع الى ذاكرته القوية في الحفظ و رغبته في توظيف الشعر في خدمة التاريخ .

و مع ذلك فإن الدينوري لم يكن محايدا ، فإن إعتماده على روايات أهل العراق دون غيرهم و تركيزه على دور الموالي الفرس في أحداث التاريخ الإسلامي و الميل الى كل ما يمجد العباسيين كل ذلك يشتم منه رائحة التحيز و الميل الشعوبي ،وفيما عدا ذلك فإنه يتفق منهجا و أسلوبا مع معاصره " اليعقوبي " .

ك - اليعقوبي (إبن واضح) ت 292هـ/915م (1) .

وهو صاحب كتاب التاريخ المعروف بتاريخ اليعقوبي ، وهو تاريخ عام يبدأ من مهبط سيدنا آدم عليه السلام حتى عصر المؤلف ، ومادة الكتاب بأجزائها الثلاثة حسب طبعة النجف - تنقسم الى ثلاثة أقسام رئيسية محتوى الجزء الأول يشمل قصة آدم عليه

السلام و الأنبياء من بعده ، ثم مختصر تاريخ الأمم القديمة كالهند و الفرس و الروم ، و ينتهي بالحديث عن مظاهر كثيرة من حياة العرب و خاصة أديانهم وشعرائهم . « . . اختصرنا فيه إبتداء كون الدنيا و أخبار الأولين من الأمم المتقدمة و الممالك المتفرقة . . » ولقد تميز بعض هذا القسم بالطابع الأسطوري بسبب ندرة المصادر ، ولقد إهتم فيه اليعقوبي بالجوانب الحضارية أكثر من إهتمامه بالجوانب السياسية .

أما الجزء الثاني لليعقوبي فإنه يتحدث عن سيرة الرّسول (ص) و مغازيه بالترتيب المعروف عند أصحاب السير و المغازي وهو حياة الرسول (ص) قبل البعثة ثم تاريخ الدولة الإسلامية وغزوات النبي عليه السلام وسراياه كل ذلك مترتب ترتيبا زمنيا دقيقا على حد كبير

وفي الجزء الثالث دون تاريخ المسلمين بعد الرسول (ص) حتى خلافة المعتمد بن عبد الله العباسي سنة 256هـ ، وذلك عن طريق محاولة تتبع الأحداث التي وقعت في عهد كل خليفة بحيث يبدأ بتاريخ تولي الخليفة عرش الخلافة والطوالع التي كانت عند توليه و يتتبع أخباره ثم يختم الحديث عنه بذكر صفاته و يورد بعد ذلك قائمة بأسماء ولاته وكبار موظفيه وامراء الحج في عهده ، و يتتبع بعد الحملات الحربية (الصوائف و الشواتي) و يحدد أمراءها و قادتها .

و يظهر من خلال المادة التاريخية التي أوردها اليعقوبي أنه إعتمد على مصادر متنوعة ، سواء كانت تلك المادة المأخودة من مصنفات أهل الكتاب اليهود و النصارى أو من روايات أهل الأمصار التي رحل اليها و كان ينقل أحيانا من مصادر مكتوبة ، و لكن يغلب عليه قلة الإشارة الى مصادره وغموضها في كثير من الأحيان مثل قوله "قال أهل العلم " و "ذكرت الرواية " و لم يعتمد على الإسناد و لا يحاول نقده إلا في مواضيع قليلة و هذا في نظر المنهة الإسلامي للتاريخ ضعف و تدليس .

و مع كل هذا فإننا نلاحظ هذا المؤرخ كان يدخل في بعض الروايات لينتقدها و يكذّب بعضها و ذلك إحتكاما عند العقل و استعمال المنطق و هذه ميزة يقل وجودها لدى كثير من المؤرخين القدماء .

---

(1) هو أحمد بن اسحاق مؤرخ و جغرافي ، يعد من أهل بغداد رغم كثرة أسفاره ورحلاته له تآليف عديدة أشهرها على التوالي :تاريخ اليعقوبي ، كتاب البلدان ، أخبار الأمم السالفة وهو كتاب صغير الحجم ، مشاكلة الناس لزمانهم (وهو أيضا من الحجم الصغير) . انظر ياقوت الحموي ، معجم الآداب ،ج5، ص153
خير الدين الزركلي ، الأعلام ،ج1 ص95.

وميزة الإنتقاء و النقد هذه عند اليعقوبي أساسا في الجزء الثاني من كتابه في التاريخ وهو الجزء المخصص لفترة الرسالة المحمدية و أخبار سيرة النبي محمد عليه السلام ومغازيه حيث يقول " ألفنا كتابنا هذا على ما رواه الأشياخ المتقدمون من العلماء و الرواة و أصحاب السيرة و الأخبار والتاريخات ، و لم نذهب الى التفرد بكتاب نصنعه و نتكلف منه ما سبقنا اليه غيرنا ، ولكننا قد نذهب الى أجمع المقالات و الروايات لأننا وجدناهم إختلفوا في أحاديثهم و أخبارهم وزاد بعضهم و نقص بعض فأردنا أن نجمع ما انتهى الينا مما جاء به كل امرء منهم لأن الواحد لا يحيط بكل علم ".

ثم يشير إشارات خفيفة الى مصادره و يعتمد إعتمادا أساسيا على الأمثال حتى في الأخبار المتعلقة بالشؤون التشريعية و الدينية .

ولقد تمكن المؤرخ اليعقوبي من محاولة الجمع بين طريقتي الحوليات و الموضوعات ، كما أنه تميز بالإكثار من الإعتماد على الرسائل و الخطب و بذلك يكون قد إنفرد ببعض المعلومات التاريخية و لا نجدها عند غيره .

ورغم ما تميزت مادته التاريخية بالإختصار إلا أن ما أورده يدل على براعة في الإختيار و دقة الملاحظة خصوصا في كشف الأعمال الهامة التي تخص كل خليفة ، وفي تفسيره لبعض الأحداث بين اليعقوبي أفكارا في غاية الأهمية تتعلق بنضج مفهوم الغاية من الإهتمام بموضع التاريخ عند المسلمين وهو العبرة الخلقية والعضة الحسنة .

ولا شك أن هذا المفهوم يعتبر من المعنى الأسمى الذي عالجه الإسلام و أشار اليه القرآن الكريم في أكثر من مناسبة كما أشرت سابقا .

و لا يخفي المؤرخ " اليعقوبي " في بعض الأماكن ميله الى التشيع رغم محاولته الإلتزام بالدقة و الموضوعية التاريخية ، كما أنه يظهر من خلال كتاباته عن التاريخ العباسي نوعا من المجاملة و التسامح و ذلك بمروره مرّ الكرام على كثير منْ الأحداث المحرجة في تاريخ العباسيين و لا يعطي في ذلك رأيا أو يبدي إعتراضا مثل قضية إغتيال أبي مسلم الخرساني على يد الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور و نكبة أسرة البرامكة على يد الخليفة هرون الرشيد(1) .

ومهما يمكن من أمر ذلك فإن كتاب اليعقوبي في التاريخ يمثل تمثيلا صادقا لظهور فكرة عالمية الأحداث التاريخية على مستوى العالم الإسلامي و هذه الفكرة هي التي ستتطور على يد مؤرخين مسلمين جاؤوا بعده كما سنرى .

1)) خصصت لهذا الموضوع فصلا كاملا في رسالتي عن دور أسرة البرامكة، راجع ذلك.

وعلى كل حال فإن ظاهرة الإلتزام بالمنهج الإسلامي في سرد الأحداث و تاريخها قد أخذت تتراخى تدريجيا ، ولم يعد المؤرخون المسلمون يلتزمون بها إلا عند الضرورة ، و يستثنى من ذلك عميد المؤرخين المسلمين " الطبري " صاحب كتاب " تاريخ الرسل و الملوك " الذي سنشير الى منهجيته في كتاب التاريخ من خلال الحديث عن المؤرخين الموسوعيين الذين خصصت لهم الفصل التالي .

الفصل الثالث
(المؤرخون الموسوعيون)

1- المؤرخون حتى بداية القرن7هـ/13م

ا- الطبري: هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري (أبو جعفر) 224-310 هـ/839-923م .

ولد في قرية " آمل " بطبرستان و فيها تلقى دروسه الأولى ، ثم إنتقل الى " الري" عاصمة "خراسان " التي واصل تعليمه بها على يد كبار شيوخها أمثال " الرازي " و " الدولابي " و " ابن الولي " رحل الطبري الى " بغداد " عاصمة الخلافة العباسية أهم عواصم الإشعاع الحضاري وقتئذ .

و يبدو أن مؤرخنا قد إستقر بها مدة طويلة لازم خلالها فطاحل الرواة و علماء التفسير ، لكن طموحه و رغبته الجامحة في تحصيل العلم قد كانت سببا في هجرته منها الى مختلف المدن الإسلامية الهامة " البصرة " و " بلاد الشام " و " مصر " من أجل تحصيل المعرفة على يدي علمائها و تمحيص الروايات و الأخبار .

و الطبري مثال حي لطلاب العلم المجتهدين ، حيث قضى معظم حياته في تحصيل العلم و مناقشة العلماء . و لم يكن يسعى من وراء ذلك غير اكتشاف المعرفة و توسيع فكره و مداركه ، بدليل رفضه المناصب الهامة التي عرضت عليه ، حتى صار صاحب الرأي المستقل في أكثر المسائل التي كانت مطروحة على الساحة الفكرية في عصره .

ويروى أنه قضى مدة أربعين سنة في الكتابة و التأليف ، إعتمادا على الذاكرة و الحفظ في أغلب الأحيان . ولحسن الحظ فإنه قد وصلتنا من مؤلفاته كتابان يعدان من أهم كتب التراث العربي الإسلامي .

و أولهما كتاب جامع البيان في تفسير القرآن المعروف بتفسير الطبري وهو في عدة مجلدات ، تميز عن غيره بإبداء الرأي و مخالفة بعض المفسرين المعاصرين له .

و ثانيهما كتاب " تاريخ الرسل و الملوك " الذي نخصه بالحديث في هذه الدراسة ، ويعد

هذا الكتاب الذي يسميه بعضهم " تاريخ الأمم والملوك " من أشهر الكتب في التاريخ الإسلامي ، وأكثرها مادة و أخبارا في الفترة التي غطى أحداثها هذا المؤرخ البارع ، و يقع هذا الكتاب في حوالي 10 مجلدات ضمن فيها الطبري مختلف الروايات التاريخية عن الشعوب و القبائل القديمة و المعاصرة أيضا .

و يمكن أن نقسم مادة هذا السفر الضخم الى قسين أساسيين :

القسم الأول تكلم الطبري فيه عن بدء الخليقة و مهبط آدم و قصة قابيل و أخيه هابيل ثم تحدث عن الأنبياء بتسلسل ، نوح إبراهيم ولوط و إسماعيل و أيوب و قصة شعيب ويعقوب و يوسف و إسماعيل و غيرهم و أرخ بعد ذلك للأمم السابقة للإسلام فتحدث عن الفرس و الروم و عن بني إسرائيل ، وملوك اليمن و أشهر الدويلات العربية القديمة و قد إتبع في سرد تاريخ هذه الأمم أسلوب الموضوعات لم يحدد تاريخهم بالسنوات (طريقة الحوليات) ، كما هو الحال في القسم الخاص بالتاريخ الإسلامي .

وفي القسم الثالي تناول الطبري أحداث الدولة الإسلامية منذ بداية الدعوة المحمدية وحتى سنة 302هـ/914م ، و يمتاز هذا القسم عن سابقه بالتفصيل و التدقيق فضلا عن الإسناد ، و إيراد مختلف الروايات عن الحدث الواحد ، وذلك لوفر المادة من جهة ، وتخصصه في الإسلاميات من جهة ثانية .

ولا شك أن هذا المؤرخ قدإعتمد على مصادرلا تزال أكثرهاالى حد الآن، في تعداد المفقودات وحسب إشارة الطبري القليلة الى من نقل عنهم – عدا الرواة . فإنه يمكن ايجاز مصادره فيما يلي :

1) في تاريخ الفرس إعتمد على بعض كتبهم المترجمة الى العربية خاصة ترجمات الأديب الشهير ابن المقفع – الفارسي الأصل ، وكذلك من ابن هشام الكلبي و بعض المخطوطات التي كانت في عصره .

2) في تاريخ بني إسرائيل اعتمد على قصصهم الواردة في التورات – كتابهم المقدس-، وما جاء عنهم من أخبار في القرآن الكريم .

3) في تاريخ العرب قبل الإسلام يشير الطبري الى ما كتبه كل من عبيد بن شريه و محمد بن كعب القرظي ووهب بن منبه .

4) في تاريخ الدعوة الإسلامية وسيرة الرسول صلى الله عليه و سلم الزكية يستند الطبري على ما رواه عمر بن الزبير و شرحبيل بن سعد و ابن هشام الزهري و هشام و هؤلاء هم المتخصصون في سيرة النبي محمد عليه السلام .

5) في تاريخ الخلفاء الراشدين يشير " الطبري " غالبا الى أبي مخنف و المدائني أما بالنسبة للأمويين فقد إعتمد على رواة أكفاء مثل المدائني و هشام الكلبي و " أبي مخنف " و في التاريخ العباسي يستند مؤرخنا على كل من أحمد بن زهير و المدائني و الراوية الكبير " ابن عدي " و الواقدي ، فضلا على مشاهده الشخصية في الأحداث التي عاصرها .

و لذلك فإن كتاب " تاريخ الرسل و الملوك " لا يعد كتابا تاريخيا فحسب بل هو إنتاج علمي و تراث حضاري لجيل القرن الأول و الثاني الهجريين و يمكن حصر و تقييم هذا الإنتاج فيما يلي :

1–أن مادته التاريخية تعتبرمن أوثق المعلومات لا يرادها بالنصوص عن أصحابها بعد إنتقائها.

2– إعتماده في السرد التا ريخي على الروايات و حرصه على الإسناد دون نقد في الغالب حيث يقول : « و إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي لنا ... » كما أنه كان لا يعطي رأيا خاصا فيما يقدمه من معلومات ، بإستثناء عملية انتقائه و تركيزه على بعض الروايات دون أخرى و إستعماله لكلمة " و الصحيح عندنا " .

3– اشتمل تاريخه على مختلف أنواع الموضوعات التاريخية ، ذكر الخليقة و سرد أخبار أيام العرب ، ومختلف المغازي و تتبع حركات الفتح .. على نحو ما سيكون تاريخيا عالميا . و لذلك فإنه يعد أول من قام بعمل تركيبي لمثل هذه الموضوعات في التاريخ العربي الإسلامي .

4– يلاحظ أنه من خلال هذا المنهج الجديد قد حاول تحقيق الإستمرارية الحضارية و الإرتباط التاريخي للأمة العربية خاصة .

5– بفضل منهج " الإسناد " الذي طبقه الطبري بصرامة على التاريخ أعترف له بالوثوق ، ذلك أنه أراد أن يوفق الخبر التاريخي بنفس المنهج الذي كان يوثق به المحدثون " الحديث النبوي الشريف " .

هذا الكتاب الذي يسميه بعضهم " تاريخ الأمم والملوك " من أشهر الكتب في التاريخ الإسلامي ، وأكثرها مادة و أخبارا في الفترة التي غطى أحداثها هذا المؤرخ البارع ، و يقع هذا الكتاب في حوالي 10 مجلدات ضمن فيها الطبري مختلف الروايات التاريخية عن الشعوب و القبائل القديمة و المعاصرة أيضا .

و يمكن أن نقسم مادة هذا السفر الضخم الى قسين أساسيين :

القسم الأول تكلم الطبري فيه عن بدء الخليقة و مهبط آدم و قصة قابيل و أخيه هابيل ثم تحدث عن الأنبياء بتسلسل ، نوح إبراهيم ولوط و إسماعيل و أيوب و قصة شعيب ويعقوب و يوسف و إسماعيل و غيرهم و أرخ بعد ذلك للأمم السابقة للإسلام فتحدث عن الفرس و الروم و عن بني إسرائيل ، وملوك اليمن و أشهر الدويلات العربية القديمة و قد إتبع في سرد تاريخ هذه الأمم أسلوب الموضوعات لم يحدد تاريخهم بالسنوات (طريقة الحوليات) ، كما هو الحال في القسم الخاص بالتاريخ الإسلامي .

وفي القسم الثالي تناول الطبري أحداث الدولة الإسلامية منذ بداية الدعوة المحمدية وحتى سنة 302هـ/914م ، و يمتاز هذا القسم عن سابقه بالتفصيل و التدقيق فضلا عن الإسناد ، و إيراد مختلف الروايات عن الحدث الواحد ، وذلك لوفر المادة من جهة ، وتخصصه في الإسلاميات من جهة ثانية .

ولا شك أن هذا المؤرخ قدإعتمد على مصادرلا تزال أكثرهاالى حد الآن، في تعداد المفقودات و حسب إشارة الطبري القليلة الى من نقل عنهم – عدا الرواة . فإنه يمكن ايجاز مصادره فيما يلي :

1) في تاريخ الفرس إعتمد على بعض كتبهم المترجمة الى العربية خاصة ترجمات الأديب الشهير ابن المقفع – الفارسي الأصل ، وكذلك من ابن هشام الكلبي و بعض المخطوطات التي كانت في عصره .

2) في تاريخ بني إسرائيل اعتمد على قصصهم الواردة في التورات – كتابهم المقدس-، وما جاء عنهم من أخبار في القرآن الكريم .

3) في تاريخ العرب قبل الإسلام يشير الطبري الى ما كتبه كل من عبيد بن شريه و محمد بن كعب القرظي ووهب بن منبه .

4) في تاريخ الدعوة الإسلامية وسيرة الرسول صلى الله عليه و سلم الزكية يستند الطبري على ما رواه عمر بن الزبير و شرحبيل بن سعد و ابن هشام الزهري و هشام و هؤلاء هم المتخصصون في سيرة النبي محمد عليه السلام .

5) في تاريخ الخلفاء الراشدين يشير " الطبري " غالبا الى أبي مخنف و المدائني أما بالنسبة للأمويين فقد إعتمد على رواة أكفاء مثل المدائني و هشام الكلبي و " أبي مخنف " و في التاريخ العباسي يستند مؤرخنا على كل من أحمد بن زهير و المدائني و الراوية الكبير " ابن عدي " و الواقدي ، فضلا على مشاهده الشخصية في الأحداث التي عاصرها .

و لذلك فإن كتاب " تاريخ الرسل و الملوك " لا يعد كتابا تاريخيا فحسب بل هو إنتاج علمي و تراث حضاري لجيل القرن الأول و الثاني الهجريين و يمكن حصر و تقييم هذا الإنتاج فيما يلي :

1–أن مادته التاريخية تعتبرمن أوثق المعلومات لا يرادها بالنصوص عن أصحابها بعد إنتقائها .

2– إعتماده في السرد التا ريخي على الروايات و حرصه على الإسناد دون نقد في الغالب حيث يقول : « و إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي لنا ... » كما أنه كان لا يعطي رأيا خاصا فيما يقدمه من معلومات ، بإستثناء عملية انتقائه و تركيزه على بعض الروايات دون أخرى و إستعماله لكلمة " و الصحيح عندنا " .

3– اشتمل تاريخه على مختلف أنواع الموضوعات التاريخية ، ذكر الخليقة و سرد أخبار أيام العرب ، ومختلف المغازي و تتبع حركات الفتح .. على نحو ما سيكون تاريخيا عالميا . و لذلك فإنه يعد أول من قام بعمل تركيبي لمثل هذه الموضوعات في التاريخ العربي الإسلامي .

4– يلاحظ أنه من خلال هذا المنهج الجديد قد حاول تحقيق الإستمرارية الحضارية و الإرتباط التاريخي للأمة العربية خاصة .

5– بفضل منهج " الإسناد " الذي طبقه الطبري بصرامة على التاريخ أعترف له بالوثوق ، ذلك أنه أراد أن يوفق الخبر التاريخي بنفس المنهج الذي كان يوثق به المحدثون " الحديث النبوي الشريف " .

6- يعد كتابه من اللّبنات الأولى التي بنيت عليها أرضية التاريخ العربي الإسلامي و ذلك حين إتبع منهجا جديدا هو " التاريخ على نظام الحلويات ابتدأ من السنة الأولى لهجرة الرسول (ص) ، وحتى تاريخ توقفه على الكتابة التاريخية وهي سنة 302هـ/ 914م .

هذا المنهج الصارم و هذا التحديث الذي تميز به الإمام الطبري عمن سبقه من المؤرخين يطرح على الباحثين عدة استفسارات منها هل أراد المؤرخ أن يصل بالخبر التاريخي الى " الإجماع " ليبني صرح " الموضوعية التاريخية ؟ " .

وفي الحقيقة فإننا نجد أنفسنا مضطرين الى نفي ذلك !؟ حين نلاحظ أن المؤرخ يتحيز للسلطة الحاكمة – الخلافة العباسية – في كثير من القضايا التي يتحدث عنها ، كما يلاحظ عليه إظهار إنتقامه الشديد تجاه الثائرين ضد السلطة وخاصة العباسية ، حيث " يلعنهم " و يصفهم بأبشع الأوصاف . !؟ خصوصا عندما يجد الروايات تؤيد هذه الفكرة وتزكي هذا الإتجاه

ومن غير المنطق أن نعتبر سبب موقف هذا المؤرخ ضد " الثائرين و تأييده للسلطة الحاكمة طموحه الى المناصب السياسية أو الى المال بدليل رفضه لها في كثير من المناسبات، هذا من جهة ومن جهة أخرى استقلاله الفكري في أدق فرع من فروع الشريعة الإسلامية وهو الفقه ، حيث منافسة كبيرة بينه و بين الفقهاء المقربين من السلطة العباسية .

و لذلك فإن تفسير سبب الطبري التوفيقية مع الإتجاه السلطوي لا يعتدي في نظري أن يكون مصدره محاولة هذا المؤرخ توظيف مجهوده الفكري و ظمه لتيار السلطة بهدف جمع شامل للأمة الإسلامية وتحقيق وحدتها .

وبفضل هذه الإختيارات و هذه النظرة الحكيمة لوظيفة التاريخ في بناء الأمة نجح مشروع مؤرخنا الطبري ، وصار المصدر الأساسي لكل المؤرخين الذين جاؤوا بعده .

و يدل إهتمام المؤرخين بكتاب تاريخ الرسل و الملوك ، محاولاتهم تتمة هذا المشروع التاريخي بإستمرار في تتبع منهج الطبري ، وذلك حين كتب " عريب القرطبي " ذيلا لكتاب تاريخ الرسل وصل به الى عام 320هـ/932م و أتمه " ثابت إبن سنان " الى سنة 448هـ/1056م . و مدده إبنه " محمد " الى سنة 479هـ/1098م تحت " عنوان التواريخ " وتاولت كتابة "الذيول" على هذا السفر من طرف كثيرة من المؤرخين الذين جاؤوا بعد هذه الفترة حتى، أن المؤرخ " ابن خلدون " حين نقل عن الطبري قال : « أوردتها ملخصة من كتاب محمد بن جرير فإنه أوثق ما

رأيناه من ذلك و أبعد من المطاعن عن الشبه في كبار الأمة » .

ولم يعد تاريخ الطبري حكرا على قراء العربية بل تجاوز ذلك الى أن صار من الروائع العالمية بفضل الترجمات التي تناولت العديد من أجزائه ، ابتداء من أواسط القرن الرابع الهجري الموافق للقرن العشر ميلادي ، حيث نقل عنه مختصر الى اللغة الفارسية ، وترجم الى اللغة الفرنسية في اربعة أجزاء على يد المستشرق " زوتنبورغ – ZOTEMBOURGE " تحت عنوان (حلويات ابي جعفر محمد بن جرير الطبري – ZOTEMBOURGE CHRONIQUE D'ABOU DJAAFAR MOMAHED B.DJARIR ETABARI . T1-4.PARIS .1867) كما ترجم الى اللّغة التركية و نشر في ثلاثة أجزاء في " إستنبول " .

ب – المسعودي هو(علي بن حسين المسعودي نسبةالى عبدالله بن مسعودالصحابي الجليل)

ولد المسعودي في " بابل " بالعراق سنة 284هـ/900م و يقال أنه من أهل المغرب و لعل مرد هذا الإنتساب الى أن عائلته كانت قد سكنت المغرب قبل إستيطانها في أرض العراق .

عاش المؤرخ بداية حياته في ظل عائلة عربية وفرت له تعليما محترما حيث تشبع بالثقافة العربية الإسلامية في بغداد عاصمة الفكر العربي الإسلامي وقتئذ ، وقد كان بها مكتبات و علماء يتعذر وجود مثيلهم في غيرها من المدن الإسلامية .

و يبدو أن طموح هذا الشاب العربي و رغبته في الإستزادة من مناهل العلم قد جاوز إمكانيات بغداد " العلمية " ، كما لا يستبعد أن عائلته قد زكت فيه رغبة الإطلاع و المغامرة والترحال و التجوال .

ويروى أنه كان حديث السن عندما زار مدينتي " المالتان والنصورة " سنة 300هـ/912م اللتين كانتا بداية مرحلة جديدة في حياته تميز بها عن غيره من المؤرخين المسلمين ، وهي حياة المغامرة و تحمل مخاطر الأسفار التي دامت حوالي 25 سنة دون إنقطاع وتحدوه في ذلك رغبته الشديدة في اكتشاف المجهول و البحث عن أسرار المعمورة ، حتى غدى المسعودي شخصية عالمية لإطلاعه على معظم أنحاء العالم الوسيط. والحديث عن هذا الرجل حديث عن الأقاليم و الدول التي زارها حيث كان المؤرخ سفيرا للعرب المسلمين في معظم أنحاء المعمورة ، فمن فارس و كرمان إنتقل الى السند سنة 304هـ/916م ثم الى " سيلان " ومنها ركب الى

شرقي إفريقيا عبر المحيط الهادي – الهندي حتى وصل الى جزيرة " مدغشقر " وعبر البحر الأحمر زار المسعودي الحجاز و منها الى بلاد الشام، ويروى أنه عاد مرة أخرى الى الشرق الأقصى حيث " ماليزيا " ومشارف بلاد الصين ، وذلك قبل أن يحط عصا الترحال في مصر التي إستقر بها ليتفرغ للتدوين التاريخي والتأليف الموسوعي .

ومن المؤكد أن الأسفار التي قام بها هذا المؤرخ قد كانت من أهم العوامل التي شحذت ذهنه ووسعت دائرة معارفه ، فمن خلال مشاهدته كان يتلقى مختلف الثقافات و يحصل عليها من متابعتها كما أنه كان يدرس المجتمعات التي يزورها دراسة ميدانية ميزته لا عن معاصريه من المؤرخين فحسب، بل عن معظم مؤرخي التاريخ الوسيط .

ولذلك فإن المسعودي يعد من المؤلفين العرب ذوى الثقافات المتنوعة فقد إهتم بعلم الكلام -الفلسفة -- و السياسة قدر إهتمامه بالجغرافيا و أسرارها و التاريخ و غرائبه .

و نظرا لتعدد تخصصات هذا المؤلف وتنوع طرق التأليف لديه فإنه من الصعوبة بمكان تخصيص أيا من كتبه في ميدان التاريخ ، وهذا أمر يعتذر معه الإلمام بكل ما كتبه هذا العالم المكثر .

ومع ذلك فيمكن حصر كتاباته المعروفة لدينا لحد الآن – فيما يلي :

1) كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر الذي طبع عدة مرات وترجم الى مختلف اللغات الأجنبية ابتاء من طبعته الأولى سنة 1861 هـ على يد أحد المستشرقين الأوروبيين ، وهو الآن في أربعة أجزاء جمعوا في مجلدين حسب طبعة القاهرة ، ثم فصل كل جزء في مجلد مستقل في الطبعة الحديثة (دار المعرفة – بيروت 1403هـ/1982م) .

2) كتاب " أخبار الزمان ومن أباده الحدثان في الأمم الماضية " . والممالك الدائرة الذي كتبه في حوالي 30 مجلدا لم يصلنا منه للأسف سوى الجزء الأول طبع مرة في القاهرة سنة 1937م ، ثم في بيروت بدار الأندلس سنة 1966 م .

3) كتاب تنبيه الأشراف وهو في مجلد واحد طبع لأول مرة في سنة 1894 على يدي المستشرق " ذي غويه " الذي تنبه الى أهميته و ترجمه الى اللغة الفرنسية عام 1897م.

وحسب إشارات المؤرخ المسعودي في مقدمات كتبه الثلاثة هذه الى مؤلفاته الأخرى فإنه يؤسفنا أن نقول أنه لم يصلنا لحد الآن إلا الجزء اليسير من مصنفاته ، و التي بلغت ما يزيد عن 30 كتابا مختلفة الأحجام و حول تخصصات متنوعة نذكر منها على سبيل

المثال : كتاب "أخبار الخوارج " و كتاب " مقاتل فرسان العجم " و كتاب " مزاهر الأخبار و طرائف الآثار " وغيرها .

ومن الممكن تصور مدى خسارة التراث العربي الإسلامي لو حاولنا سرد مختلف عناوين كتبه التي أشار هو اليها والتي اعتمد عليها بعض المؤلفين .

ويزيد أسفنا حين نقرأ بعض من صفحات كتبه المتبقية فنكتشف عن عبقرية وموسوعيا يتعذر وجود مثيله في تاريخ الأمم غير العربية .

و لذلك فإن المؤرخ المسعودي يمثل بجدارة ملامح العقل العربي المسلم ومدى سعته في استيعاب مختلف المعارف و العلوم .

ويمكن أخذ كتابه – الضخم " مروج الذهب " كنموذج لكتابات هذا الرحالة العظيم ، والتي شملت (132 بابا) تدور حول مواضيع شتى من تاريخ العالم منذ بدايته و حتى سنة 335 هـ /956 م قال المسعودي في مقدمة كتابه هذا « وقد أسميته مروج الذهب لنفاسة ما حواه و عظم خطر ما استولى عليه من طوالع بوارع ما تضمنه كتبنا السابقة في معناه ... وجعلته تحفة الإشراف من الملوك و أهل الديارات » ثم يسرد المسعودي في مقدمته ما زيد عن 100 مصدر تاريخي اعتمد عليها مما يبين صبر هذا المؤرخ على البحث و الإجتهاد في إخراج تأليفه .

ولعل ذكر المسعودي لهذه المصادر ليس ميزة من ميزات منهجه التاريخي المعتمد على الأمانة العلمية فحسب، ولكنه أفادنا بأبرز ما كان قد أنتجه الفكر العربي الإسلامي أيضا .

ويعد كتاب " مروج الذهب " من أهم مصادر التاريخ الإسلامي و يمكن تقسيمه الى قسمين أساسيين :

يمثل القسم الأول أخبار الرّسل و الأنبياء و تواريخ الأمم القديمة و عاداتهم و غيرها ، أما القسم الثاني – و يبدأ من الباب 70– فهو مختص بالتاريخ الإسلامي إبتداء من مبعث الرسول (ص) و ما قيل في ذلك حتى هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، و بعد ذلك أخذ المسعودي في ذكر أخبار الخلفاء الراشدين فالأمويين و حتى خلافة المطيع لله العباسي سنة 345هـ/1053م ، اتبع في كتابته منهج الموضوعات مراعيا في ذلك التركيز على الأحداث الهامة ذات الدور الفعال في تاريخ الخلفاء و غيرهم من كبار الأمراء و الوزراء .

و أخيرا ينهي المسعودي كتابه " مروج" بخاتمة بلغت آية في الإحكام البلاغي ، وشمولية

الرؤية ، تكشف عن عبقرية فذة مدركة للدور الذي يمكن أن يلعبه التاريخ في شعور الأمم بعزتها وفعاليتها في تحقيق الإستمرارية الحضـــارية .

و تجب الإشارة الى أن هذا الكتاب لا يقتصر على ذكر الحوادث التاريخية على نحو ما فعل غيره من المؤرخين العرب المسلمين ، و إنما كان " المسعودي " يستطرد من حين لآخر في ذكر العديد من الظواهر التي عاشها أو سمع عنها .

و لذلك فإن كتاب " مروج الذهب " لا يعد مصدرا تاريخيا فحسب ، بل هو من نمط " دائرة المعارف" التي يجد فيها كل باحث رغبته من فنون المعرفة .

ويكفي كدليل على عظمة هذا المؤرخ و نباهته اعتراف مؤرخنا المبدع ابن خلدون المغربي الذي كان لا يتردد في إبداء إعجابه الشديد بالمسعودي حتى لقبه بـ " امام كتاب الباحثين " و قد ادرك الغربيون قيمة هذا الكتاب وكان المستشرقين منهم عصا السبق في نشره و ترجمة العديد من نصوصه ، حتى لقبه أحدهم وهو " فول كريمو " بـ " هيرودوت العرب " .

جـ- ابن مسكويه، (ابو علي أحمد بن محمد) 421هـ/1030م .

أهله من منطقة الري بخرسان ، إهتم في بداية حياته العلمية بالفلسفة و المنطق و علم الكيمياء ثم أولع بالأخبار التاريخية و الأدب فأجاد فيهما ، إشتغل أمينا لمكتبة السلطان ركن الدولة الفضل بن العميد فلقب بـ « الخازن » ثم إختص بخدمة بهاء الدولة البويهي و إرتقى في عهده الى المناصب العليا ، و أعجب به و بعدله .

لقد كانت " لإبن مسكويه " تاليف عديدة في مختلف العلوم (1) يهمنا منها كتابه المسمى "بتجارب الأمم و تعاقب الهمم " ، الذي يمثل إتجاه الكاتب الى التاريخ تمثيلا كبيرا ، ويعد هذا الكتاب أثمن كتب التاريخ الإسلامي العام ، و ينتهي به الى سنة 372 هـ أي السنة التي مات فيها " عضد الدولة " .

و الظاهر أن " إبن مسكويه " قد كان يهدف في وراء تسجيل الحوادث التاريخية الهامة إلى تبصير القارئ بالعضة و بالحكمة التي يستنبطها بعد قراءته لتجارب الأمم التاريخية، فيتبع

---

(1) من أهم كتبه التي وصلت الينا : تهذيب الأخلاق و تطهير الأعراق ، وكتاب " الفوز الأصغر " وهو مختص بقضايا علم النفس، " ترتيب السعادات " يختص بالشؤون الأخلاقية و المثل العليا ، وله كتاب " عنوانه رسالة في ماهية العدل " ويهتم كما يفهم من العنوان بالشؤون القضائية ، وغير ذلك من التاليف لا تزال بعضها مخطوطا .

ما صلح به السلف و انتفعت به الشعوب و يتجنب ما وقعت فيه الأمم من هفوات وأخطاء تاريخية .

ولعل هذا ما يفسر لنا إنتقاء هذا الكتاب للحوادث التاريخية و إقصاء الكثير من الروايات و الأحداث و إعتبارها غير نافعة ولا تؤدي إلا الى اللغو و حشو عقل القارئ بأحداث لا معنى لها أو لا تنفعه في حياته اليومية .

و لذلك فإنه لم يتطرق الى ذكر أخبار الأنبياء و الرسل قبل سيدنا محمد عليه السلام ، ولم يشـــر الى أي معجزة من معجزاتهم التي إهتم بها كثير من المؤرخين ... جاء في مقدمته ما يلي : « و أنا مبتدئ بذكر الله و منه نقل الينا من الأخبار بعد الطوفان نقلته الثقة بما كان منها قبله و لأن ما نقل لا يفيد شيئا مما عزمنا على ذكره و ضمناه في صدر الكتاب..»

وحتى تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد الرسول (ص) فإنها لم تحظ بالذكر عنده ، و إنما إهتم ببعض الأحداث ذات صلة مباشرة بالتطور السياسي للدولة الإسلامية عبر الحديث عن الظاهر السياسية و الإجتماعية الخاصة بالإمبراطورية الفارسية و ببعض الشعوب مثل البابالين والإغريق والنصارى والروم و عرب الجاهلية .

و أما ما يتعلق بالتاريخ الإسلامي فقد إعتمد إعتمادا أساسيا على المؤرخ الطبري ، وسلك في هذا الإعتماد منهاجا حوليا فيما يخص الصدر الأول من التاريخ الإسلامي ، فأوجز وإختصر ، ونقح من الروايات ما شاء إذ إستبعد كل رواية فيها ضعف في المضمون ، و لذلك جاءت أغلب الأحداث التي إهتم بها ذات قيمة جوهرية في بناء الدولة الإسلامية .

و فضلا من ذلك فقد إستغنى " إبن مسكويه " عن سلسلة الإسناد فجاءت كتابته للتاريخ مختصرة و هادفة ، بالإضافة الى عرضها عرضا متماسكا .

أما فيما يخص أحداث عصره " العهد البويهي " و دولة الحمدانيين فيعد كتابه من أوثق المصادر و أهمها ، وذلك لكون كان متصلا باكثر الشخصيات المهمة فضلا عن تزوده بمكتبة السلطان البويهي " عضد الدولة " 367-772 هـ التي لا يشك في غناها بالمصادر الأساسية والحساسة أيضا .

د – ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي) 508–597هـ /1114–1201 م .

ولد و عاش في بغداد ، و كان أكثر إهتمامه بأحوال المدينة و شؤون أهلها و تاليفه كثيرة جدا يصعب الإشارة اليها في هذه الدراسة (1) و يهمنا منها كتابه المسمى بـ " المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم " و يقع في ستة أجزاء (2) إهتم في القسم الأول وهو المخصص للحديث عن الأمم السابقة عن الإسلام بمحاولة تصوير جغرافية العالم فتحدث عن تاريخ بني إسرائيل منذ نشأتهم حتى ظهور سيدنا المسيح عليه السلام ، ثم تناول تاريخ العجم الفرس و غيرهم من الشعوب غير الإسلامية .

و أما عن التاريخ الإسلامي فقد سلك فيه مسلك من سبقه من المؤرخين و إحتوى كتابه المنتظم على تاريخ عام للعالم الإسلامي شمل من السنة الأولى للهجرة حتى سنة 575 هـ ، وإتبع في ذلك منهج الحلويات – ذكر الأحداث حسب تسلسل السنوات ، وذيل أحداث أخر كل سنة بذكر سلسلة من الوفيات من أعيان القوم ورتبهم ترتيبا أبجاديا فأعطى للتاراجم إهتمام أكبر وحجما أوسع أكثر من إهتمامه بالأحداث التاريخ العامة .

هـ – إبن الأثير: هو عزالدين أبوالحسن علي بن محمد الشيباني (555–630هـ /1160–1233م) ولد في جزيرة إبن عمر بالموصل في وسط عائلة مثقفة ميسورة الحال ، وذات مكانة مرموقة لمساهمتها الكبيرة في إدارة الموصل و الجزيرة و بلاد الشام و مصر في عهد الأيوبيين .

و يبدو أن المؤرخ إبن الأثير قد زهد في الوظائف الحكومية على عكس بقية إخوانه ، وذلك لرغبته الجامحة في طلب المعرفة و التزود بأحكامها ، خاصة في " التاريخ " للذي تعشق أحداثه لدرجة أنه يعد من الخبراء في " التواريخ المتقدمة وأنساب العرب و أيامهم و أخبارهم .

ولاشك أن رغبته هذه هي التي كانت وراء كثرة رحلاته الى معظم مراكز الفكر وقتذاك إذ إشتهر بتردده المستمر على أغلب مدن العراق و بلاد الشام فضلا عن زيارته الكثيرة للبقاع

---

(1) من كتبه الكثيرة راجع ، ابن خلكان وفيات الاعيان جـ 1 ص 279 . و إبن كثير البداية و النهاية جـ 13 ص 28 خير الدين الزركلي الاعلام جـ 4 ص 316 .

(2) اختصره تحت عنوان اخر هو " مختصر المنتظم " ويعرف ايضا بكتاب " شذور العقود "

المقدسة قصد أداء فريضة الحج و عقد الصلات الفكرية والحضارية مع العلماء المسلمين .

وتكاد تجمع كتب التراجم و المصادر التاريخية عن حسن خلق هذا المؤرخ و بأنه كان يمثل القدوة الحسنة و المثل الأعلى للعلماء المتواضعين الباحثين عن الحكمة " يلتقطونها حيث يجدونها " و يعتبر إبن الأثير من أبرز المؤرخين المسلمين بعد –الطبري – بل يفوقه في بعض المعارف التاريخية ، فالى جانب كتابه المسمى " الكامل في التاريخ " الذي سنخصه بالحديث – الف عدة كتب تاريخية متعددة المناهج و الإختصاص ، منها كتاب " أسد الغابة في معرفة الصحابة " الذي وضعه في ستة مجلدات عن تراجم مشاهير صحابة الرسول (ص) .

و كتابه " اللباب في تهريب الأنساب " الذي إختصره عن النسابة " السمعاني " صاحب أضخم كتاب في علم الأنساب بعد " البلاذري " صاحب كتاب " أنساب الأشرف " و الذي لا يزال بعضه مخطوطا .

وخص إبن الأثير الدولة الأتابكية في التاريخ سماه " الباهر في الدولة الأتابكية " .

و الأكيد أن إبن الأثير قد إكتسب شهرة عالية من خلال كتابه التاريخي الشامل وهو كتاب " الكامل في التاريخ " الذي يقع في 12 مجلدا حسب طبعة دار صادر بيروت (1399هـ/1979م) ، و 10 مجلدات حسب الطبعة الرابعة لدار الكتاب العربي ببيروت سنة 1403هـ/1983م ، و المجلد الأخير من كل طبعة خاص بالفهارس المختلفة) .

و يغطي كتاب " الكامل " تاريخ الفترة الممتدة من عهد الخليقة حتى سنة 628هـ/1230م

و يرجع إبن الأثير سبب كتابته لهذا السفر الضخم الى ملاحظته للكتابات التاريخية السابقة لعهده ، والتي لاحظ أنها على نوعيين " ما بين مطول ممل و مختصر مخل " و أن بعض المؤرخين إهتموا بصغائر الأمور ففصلوا في أحداثها و أن بعضهم أخص بالحديث منطقة دون أخرى و دولة دون دولة ، فظلت كتاباتهم قاصرة عن توضيح الرؤية التاريخية الطبيعية للأحداث وشموليتها ، و لاشك أن هذه الملاحظة هي التي تحدد لنا منهج إبن الأثير في كتابته للتاريخ ، وذلك أن إنتقاداته لمن سبقوه من المؤرخيين هي التي كانت وراء وضعه منهجا جديدا متميزا عموما بميزة الدقّة و الشمولية و بالتوازن في المادة التاريخية في مختلف الفترات التاريخية رغم طول الفترة وتشعب أحداثها .

بيد أن عملية إحداث هذا التوازن في سرد الأحداث لم تكن واضحة في كل المواضيع ،

ولعله تجنب بعضها لكثرة ما ألف فيها فالسيرة النبوية الشريفة مثلا لم تحض عنده إلا بجزء يسير بالقياس لمواضيع أخرى و كذلك قلة التفاصيل لبعض الأحداث التي عاصرها لنقص في الوثائق و قلة الروايات عنها كأخبار التتار مثلا .

ومهما يكن إن هذا المؤرخ قد بذل جهدا كبيرا في تقصي العميق و الشامل لظاهرة تداعي الشعوب على العالم الإسلامي من الشرق و الغرب الممثلة في التتار من الشرق و الصليبيين من الغرب ، و كذلك نظرته لإستلاء الصليبيين على غزة عام 491هـ/1098م بأنها تمثل جزءا من هجوم صليبي شرس ذي ثلاث شعب يشنه العالم المسيحي المتعصب ضد الوجود الإسلامي في كل من الأندلس في بإسبانيا و صقلية بالبحر الأبيض المتوسط و قلب الإسلام ببلاد الشام .

و بهذه النظرة الشاملة وهذا العمق في ربط الأحداث بعضها ببعض يعد إبن الأثير من بين أهم المؤرخين المسلمين الذين فهموا البعد التاريخي للأحداث و فعاليتها في إحداث التغيير وتوازن القوى بين الشعوب و القوميات .

والملاحظ أنه إعتمد في سرده للروايات على المنهج الحولي الذي وضع أسسه المؤرخ الطبري ، ثم مزج ذلك بمنهج " الموضوعات " في الأحداث الهامة التي كان يعطيها حقها من البحث و الإستقراء دون إهمال للأحداث العادية كوفيات أعيان القوم كان يسجلها في أخر كل سنة تكلم عن أحداثها .

و يتعذر ملاحظة خروج المؤرخ إبن الأثير عن موضوع " السنة " التي يتحدث عنها ، كما أنه كان يرتب أحداث المشرق والمغرب معا أثناء إيراده لأخبار السنة التي يروي أحداثها مما أعطى لتاريخه أهمية خاصة .

ورغم ما في هذه المنهجية من صعوبة فإنه لا يكاد يلاحظ عليه إهماله لبعض الأحداث أو خروجه عن الموضوع ، هذا فضلا عن إبداء رأيه أحيانا في المسائل التي يتحدث عنها ، فيفسر و يعلل أسباب بعض الظواهر الطبيعية و الإجتماعية – حسب مقدرته – أثناء تتبعه للتاريخ العالمي (تاريخ العصور الوسطى و التاريخ الإسلامي خاصة) .

و الذي زاد من قيمة كتابه " الكامل في التاريخ " إنتقاده شبه عفوي للسياسة و للحرب وحتى الأخلاق خاصة في كتابته عن الفترات المتأخرة و التي عاصر بعض أحداثها كتاريخ الأيوبيين و مصر و الشام و تاريخ الزنكيين و أتابكة الموصل والصليبيين في بلاد الشام ، و بداية الإكتساح المغولي المقيت للبلاد الإسلامية .

ولاشك أن هذا المنهج الثري الذي سلكه إبن الأثير هو الذي كان سببا في إعجاب المؤرخين و غيرهم بكتابه " الكامل في التاريخ " الذي غدا المصدر الأساسي لمعظم المؤرخين الذين جاؤوا بعده ومهما يكن من أمر ذلك فإن الملاحظ أن تاريخ إبن الأثير متفاوت من حيث القيمة التاريخية .

فالأجزاء الأولى – من بداية الخليقة و الأمم السابقة للإسلام و صدر الإسلام و الخلافة والأموية و العصر العباسي الأول يكاد يكون فيه إبن الأثير عالة عن المؤرخ الكبير الطبري، ولكن ميزة إبن الأثير فيما أورده تكمن في تصرفه الحكيم في الروايات و الأخبار و ذلك بإختياره أشهرها و حذفه للإسناد المطول إختصارا ، مع العلم أنه لم ينجو كغيره من المؤرخين الأوائل من السطحية و قبول بعض الروايات التي تسقط قيمتها عند أول محاولة لإنتقادها من الداخل .

ولعل أهم الكتابات الجادة في كتاب " الكامل " هي الأقسام الأخيرة منه ، لإنفراد صاحبه بالكثير من الأحداث وسرده للعديد من الأخبار الهامة التي لا نجدها عند غيره و خاصة الأحداث التي كان معاصرا لها حيث يعد شاهد عيان في بعضها .

ومهما يكن فإن كتاب " الكامل في التاريخ " لإبن الأثير بقسميه الأول و الثاني يعد من أهم مصادر التراث العربي الذي لا غنى عنه لأي باحث في الحضارة العربية الإسلامية وفي التاريخ الإسلامي العام .

2 – المؤرخون بعد القرن 7 هـ/ 13م

ا- أبو الفدا : (إسماعيل بن علي) 672-732هـ/1331م

من عائلة وجيهة وفرت له كل أسباب الرقي و النجاح ، تلقى العلم على يدي أكبر علماء عصره في أغلب مدن الشام وخاصة (حماة و حلب و دمشق) رحل كثيرا الى مصر لزيارة ملوكها " المماليك " حتى تهيأت له الفرصة على يدي الملك الناصر من دولة المماليك الذي لقبه سلطانا على مدينة حماة بعد أن كان نائبا فقط .

ولقد تميزت سياسة الملك " أبي الفدا " المؤرخ بالعدل ، وبالإهتمام بالشؤون الثقافية ورعاية أهلها ، فقرب العلماء وخصص لبعضهم رواتب معتبرة ، و إستمر على هذه السياسة حتى وفاته .

وفي الحقيقة فإن مركز أبي الفدا و مكانته قد أتاحتا له أن يوفر لنفسه كل أسباب التي تيسر له تحصيل العلم فإجتهد في عقد الندوات العلمية ، و في إقتناء نفائس الكتب ، هذا فضلا عن إطلاعه عن المخطوطات النادرة .

ولقد إستغل هذا الرجل تلك الإمكانيات ليصنف لنا كتبا قيمة شملت معض التخصصات ومنها " تقويم البلدان .. في مجلدين " ونوادر العلم " في مجلدين أيضا (1) بيد أن الرجل قد إشتهر شهرة كبيرة بما كتب في التاريخ (2) رغم إختصاره للأحداث كما يفهم من كتابه المسمى بـ " المختصر في أخبار البشر " بدأه بمقدمة ذكر فيها منهجه في الكتابة و مصادره التي إعتمد عليها . ثم تطرق الى الحديث عن الأمم السابقة للإسلام كذكره لتواريخ الأنبياء ونتف من أخبارهم ثم تكلم عن تاريخ ملوك الفرس ، وفراعنة مصر ، وكذلك العرب في الجاهلية و غير ذلك .

أما فيما يخص تاريخ الإسلام فقد سلك فيه منهج المؤرخ إبن الأثير السالف الذكر، وإعتمد عليه في المادة التاريخية أيضا ، ويغلب عليه طابع نظام الحوليات من السنة الأولى لهجرة الرسول (ص) الى سنة 731 هـ ، فكان بذلك من أهم المصادر المختصرة و الشاملة لأكبر فترة في التاريخ الإسلامي .

وعلى أي حال فإنه يمكن تقسيم قيمة المادة التاريخية التي جاء بها هذا المؤرخ الى قسمين أساسيين :

القسم الأول وهو القسم الذي سبق عصره وكان فيها " أبو الفدا " منقحا ناقلا عن من سبقه من المؤرخين و جديته تظهر فيما نقل من النصوص و الأحداث التي تعد مصادرها ضائعة لحد الآن .

القسم الثاني وهو القسم الذي عاصره، ويشمل تاريخ حماة و عصر المماليك في الشام ومصر وسياستهم كما يشمل نتفا من أخبارالتتر وعلاقتهم بالعالم الإسلامي . و يعد هذا القسم أهم بكثير من القسم الأول، ففيه الأصالة والإبداع كما كان الكاتب هنامعاصراالأحداث ومشاركافي بعضها

(1) وله مؤلفات أخرى لا سبيل الى ذكرها في هذا المجال .. أنظر إبن كثير ، البداية و النهاية ، جـ 4 ص 158 . خير الدين الزركلي ، الأعلام ، جـ 1 ص 9319 .

(2) له كتاب اخر في التاريخ عنوانه ، تاريخ الدولة الخوارزمية.

و لقد جاد أبو الفدا في وصف ما شهده و سمع عنه وصفا دقيقا لا يمكن الإستغناء عنه.

ونظرا لأهمية هذا الكتاب فقد حظي بإهتمام المؤرخين إهتماما متزايدا ، وفطن لأهميته بعض المستشرقين فترجموه الى مختلف اللّغات (1) .

ب – الذهبي (محمد بن أحمد) 673–748هـ/1274–1348م .

لقب بالذّهبي لإشتغال أبيه بهذا المعدن الثمين . ومن ثم هيأت له عائلته الظروف المادية للتفرغ الى طلب العلم و مجالسة أهله ، ولقد أخذ الذهبي عن كبار علماء دمشق مسقط رأسه ، ثم تاقت نفسه الى طلب الرّحلة قصد التعمق في المعارف و كشف أسرارها .

ولقد أثمر هذا التحصيل و تلك الرحلات إنتاجا وافرا من التاليف في مختلف فروع العلم حتى تجاوزت مائة كتاب تحتوي أغلبها على مجلدات كثيرة و ضخمة تختص معظمها بالفقه (2).

ولا يهمنا من هذه التاليف المتنوعة غير كتبه التاريخية التي بلغت شهرة كبيرة بين معاصريه الذين لقبوه بـ " مؤرخ الإسلام " ولعل أهم كتبه في هذا الميدان هو " تاريخ الإسلام " الذي يعد من أضخم كتب التاريخ الإسلامي و أكثرها شمولية لأحداثه ، بدأه بأولى مراحل الدعوة الإسلامية و إنتهى منه الى سنة 700 هـ . إعتمد في أخذ المادة التاريخية على من سبقه من المؤرخين و ذكرهم في مقدمة كتابه فكانوا يزيدون عن أربعين مصدرا من مصادر التاريخ الإسلامي الأساسية و منها ما يرجع للأصول الأولى لبداية التدوين التاريخي عند العرب المسلمين، حيث ترقى الى القرن الثاني و الثالث الهجرى وهي مصادر لا شك أنها لم تتح لغيره من المؤرخين و أما فيما يتعلق بعصره فقد إعتمد الذهبي على ملاحظاته الشخصية وعلى رواة عاصروا الأحداث . وفي هذا الجزء من كتابه أصالة وإبداع يندر وجودها عند غيره .

(1) ترجم إلى اللغة اللاتنية و إلى اللّغة الفرنسية وكذلك ترجم قسم منه إلى اللّغة الإنجليزية. أنظر خير الدين الزركلي الأعلام جـ1 ص 319

(2) يجب الإشارة هنا إلى انّ الرّجل كان يلقب أيضا " محدث العصر " وله كتب عديدة في هذا الفرع منها " المغني " في جزئين و " الرواة الثقات " و " الكاشف " وهو تراجم لرجال الحديث و غير ذلك من الكتب التي لا تزال أغلبها مخطوطة ، أنظر ، إبن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ، جـ 2 ص 183 . .
خير الدين الزركلي ، الأعلام ، جـ 5 ، ص 326 . .
دائرة المعارف ، مادة " الذهبي " ، جـ 9 ، ص 834 ، 831 .

و أما فيما يتعلق بالمنهجية فيبدو أن الذهبي لم يستعمل جديدا ، بحيث أنه بدأ بذكر الحوادث على نظام الحوليات كغيره من المؤرخين بيد أنه حاول أن يجمع هذا النظام فرتب الأحداث حسب توالي عشرة سنوات بدل ترتيبها سنة بسنة ثم أعقب ذلك بذكر تراجم مشاهير الأعلام و رتبهم ترتيبا أبجاديا ، كما أنه حاول إحترام منهج المحدثين بذكر الإسناد و الإشارة الى المصادر في أغلب الموضوعات الهامة .

ولا ندري السبب الذي عالج فيه المؤرخ الذهبي موضوعه التاريخي نفسه في مواضيع أخرى عرضها في مصنفات و هي التي تسمى بـ"تاريخ دول الإسلام" و يسمى أيضا "التاريخ الصغير" وهو تاريخ سياسي للإسلام إنتهى به الى سنة 716 هـ . وذيله بأحداث من الفترة ما بين عامي 716هـ إلى 740هـ. و ثمة نسخة أخرى تشبه النسخة الأولى وصل فيها الذهبي الى سنة 715 هـ وهو يعرف بعنوان "مختصر العبر في خبر من غبر". كما يسمى أيضا"التاريخ الأوسط".

والظاهر أن هذه الكتابات قد لقيت رواجا في ذلك العصر فإهتم المؤرخون بنسخ الأحداث على منوالها ووفق منهاجها ، ومنهم المؤرخ السخاوي الذي وصل به الى سنة 901 هـ ، وسماه بـ" الذيل التام لدول الإسلام" .

جـ- إبن كثير (إسماعيل بن عمر) 701-774هـ/1302-1373 م

ولد في إحدى قرى الشام " بصرى " و إنتقل الى دمشق منذ صباه فاخذ بها عن علمائها ثم رفع عصا الترحال هو أيضا الى مختلف عواصم العالم الإسلامي طالبا للعلم و رغبة في مجالسة و مناقشة أهله .

شغف إبن كثير بالكتابة فألف في مواضع شتى إشتهد في أكثرها و خاصة فيما يتعلق بالحديث و التفسير (1) ، أما ما يخص التاريخ فله كتاب مشهور بعنوان " البداية و النهاية " مطبوع في أربعة عشرة مجلد .

و يختص هذا الكتاب إجمالا بالتاريخ الإسلامي ، وينتهي به الى سنة 767 هـ ، و قد سلك فيه نفس منهج إبن الأثير ، إعتمادا على مصادر كثيرة و متنوعة ، فتحدث في الأول عن الأمم و الشعوب السابقة و عن الإسلام و رتبها ترتيبا موضوعيا ، بخلاف الفترة الإسلامية التي نظمها على منهج نظام الحوليات .

---

(1) لعل أشهرها كتاب " شرح صحيح البخاري " إلا أنه لم يكمه ، و كتاب " طبقات الفقهاء الشافعيين " ولا يزال مخطوطا ،كذلك" الإجتهاد في طلب الإجتهاد " أما أشهر كتبه تداولا هو تفسيره المعروف بإسمه وهو" تفسير إبن كثير " الذي طبع في عشرة أجزاء . أنظر ، إبن كثير، البداية و النهاية ، جـ 14 ، ص 324 ، خير الدين الزركلي ، الأعلام ، جـ 1 ، ص 320 .

ولعل الجديد في كتاب إبن كثير هو الأجزاء الأخيرة منه إذ يصور عوامل الضعف والإنحطاط للدويلات الإسلامية بعد المماليك تصويرا دقيقا يصعب وجوده عند غيره ، هذا فضلا على إهتمامه المتزايد بأعلام الفكر و السياسة الذين ترجم لهم في أغلب أجزائه و ذلك حين يتحدث عن أحداث السنوات التي توفوا فيها ، ومن ثم يمكن إعتبار هذا الكتاب من الكتب الموسوعية التي تجمع الأحداث الى جانب الإهتمام بالتراجم.

د- إبن تغرى بردى (يوسف بن تغري) 813-874هـ/1410-1470م

ولد في القاهرة و فيها نشأ كان أبوه من مماليك الظاهر برقوق ومن قادة جيشه المتقدمين، عوضه قاضي القضاة جلال الدين البلقيني في تربيته لإبنه " تغرى" الذي تركه صبيا ، فأدبه و فقهه على يدي علماء مصر ، فبرع في فنون شتى ومنها التاريخ الذي أولع به و إجتهد في البحث في أسراره. فجاءت كتابته تتسم أغلبها بالطابع التاريخي، ولعل أهمها حجما و أكثرها شهرة هو كتابه " النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة " المطبوع في إثنى عشر مجلدا (1).

ويبدو من خلال عنوان الكتاب أنه يؤرخ لأحداث مصر وملوكها و أورائها ، لكن المتتبع للأحداث يجد في كتاب " إبن التغري " الكثير من الإستطرادات عن تاريخ غير مصر فهو يتحدث مثلا عن تاريخ كل من كانت له علاقة بمصر ، وأحيانا يقارن و يربط ما وقع في مصر بما وقع في غيرها من بقاع العالم الإسلامي الكثيرة ، ويخص بشيئ من التركيز بلاد الشام و العراق لصلة هذين القطرين بمصر صلة مباشرة غير تسلسل الأحداث و تطورها على الفترات طويلة نسبيا .

وفي الحقيقة فإن كتاب " النجوم الزاهرة " يعد من الكتب التاريخية الأقليمية الهامة ، فهو يؤرخ لمصر منذ السنوات الأولى لفتحها على يد العرب المسلمين أي في حدود 20هـ . ويستمر الى غاية 872 هـ مستعرضا الأحداث التاريخية حسب تسلسل الولاة و الحكام على هذا البلد الهام ، و رتب تلك الأحداث حسب نظام الحوليات أيضا .

ولقد أبدى " تغري " إهتماما بالغا بأحوال نهر النيل وكان يذكره أحواله كل سنة تقريبا زيادته أو نقصانه " ، وفضلا عن ذلك فقد إهتم أيضا بتسجيل الوفيات من أعيان أهل مصر وغيرهم في العالم الإسلامي ، وترجم لكل واحد منهم في السنة التي يتحدث عنها و تصادف وفاة أحدهم ، فجاء كتابه " النجوم " تاريخا و تراجما .

---

(1) له كتب أخرى نذكر على سبيل المثال : " المنهل الصافي و المستوفي بعد الوافي " وهو في تراجم الرجال من كبار القوم ، و" مورد اللطافة في من ولي السلطة والخلافة " و" نزهة الرأي " في التاريخ أيضا . وغيرها مما لا يسعنا المجال لذكره. أنظر تغرى النجوم الزاهرة ، جـ 1 ص 9-28 إبن العماد شذرات الذهب ، جـ 7ص34، خير الدين الزراكلي ، الأعلام ، جـ 8 ، ص 222-223 .

ومهما يكن فإن الكتاب لا يمكن الإستغناء عنه و خاصة في تاريخ مصر ، لعل أهم من ذلك كله هي اجزاءه الأخيرة التي أظهر فيها هذا المؤرخ قدرة فائقة على تحري الحقائق التاريخية و الإلمام باغلب أحداثها ، فجاءت كتاباته من أهم مصادر الموثق فيها نظرا لما كان يتحلى به هذا الرجل من نزاهة في الرأي وعدل في الموضوعية التاريخية .

هـ- السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر) 849-911هـ/1445-1505م .

نشأ في القاهرة يتيما و فيها درس مختلف العلوم النقلية و العقلية على يدي علماء أجلاء، ولما بلغ الأربعين من عمره إعتزل عن الناس وإنكب على التأليف وكرس له حياته كلّها .

و لقد أثمرت مجهوداته على تصانيف كثيرة و متنوعة لا سبيل على إحصائها منها المجلدات الضخمة و منها المقالات اللطيفة تدور محتويات أغلبها حول الفقه و التشريع و تفسير القرآن الكريم و لا تزال بعضها مخطوطا لم تطبع بعد .(1).

ولا يهمنا في هذه الدراسة سوى كتابه المسمى بـ " تاريخ الخلفاء " جمع فيه بإختصار بعض أدوار حياتهم ثم أهم مظاهر سياستهم . ولقد قدم لكتابه ببعض الأحاديث والبيانات عن موضوع الخلافة الإسلامية ثم أخذ في الحديث عن الخلفاء الراشدين ثم الأمويين فالعباسيين وهكذا حتى وصل الى عهده ، مرتبة حسب تسلسل تولي الخلفاء و حسب نظام الحوليات أيضا .

ومن أهم كتبه التاريخية التي وصلتنا كتاب حسن المحاضرة في تاريخ مصر و القاهرة ، الذي يشبه ماقام به سلفه " تغري "بردي"السالف الذكر ، إلا أن " جلال السيوطي " أعطى لموضوع مصر أهمية خاصة قد ذكر ما ورد في شأنها في القرآن الكريم ، و الحديث الشريف ، ثم تحدث عن تاريخ مصر قبل الإسلام ، ثم الفتح العربي الإسلامي لها و ما صحب ذلك من آثار على المجتمع المصـري .

و إهتم " السيوطي " كسلفه " تغري " بأخبار و سياسة ولاة مصر و أمرائها دون إهمال جوانب أخرى لا تقل أهمية مثل حديثه عن الوافدين الى مصر من الأعيان و كبار العلماء ، و لم يهمل أيضا الحديث عن المساجد و المدارس ، البيمارستانات " والمستشفيات " التي كانت تزخر بهم مصر وقتئذ ، هـذا فضلا عن إلتفاتته اللطيفة الى بعض عادات أهل مصر وتقاليدهم و هي في عمومها لا تختلف عن عادات الشعوب الإسلامية الأخرى

---

(1) عن هذا الموضوع راجع ، إبن العماد ، شذرات الذهب ، جـ 8 ، ص 51 السيوطي حسن المحاضرة ، جـ 1 ، ص 188 " تحدث عن نفسه " ، خير الدين الزركلي، الأعلام ، جـ 8 ، ص 301-302 .

وبهذا التنويع في المحتوى يمكن إعتبار كتاب " حسن المحاضرة " من الكتب الموسوعية التي يمكن الإعتماد عليها لا في الأحداث التاريخية السياسية فحسب و إنما في ميدان الحياة الإجتماعية و الثقافية أيضـــا .

و- إبن العماد (عبد الحي أحمد بن محمد) 1032-1089هـ / 1632-1679م .

ولد في دمشق ، و أقام في مصر مدة طويلة ، جمع بين الإهتمام بالأدب و التاريخ وبالفقه أيضا شأنه شأن أغلب المؤرخين المسلمين ليس له تآليف كثيرة بالمقارنة مع غيره أمثال "السيوطي" و لكنه كتب في فقه الحنابلة دون أن يكثر (1) .

أما فيما يتعلق بالتاريخ فقد وصلنا كتابه المشهور المسمى بـ " شذرات الذهب في أخبار من ذهب "في 8 أجزاء .

ولا شك أن عنوانه يدل على مضمونه فهو لم يتوسع في ذكر تفاصيل الأحداث بل أوجز وإختصر على قدر ما كان يراه مهما من الأحداث و الأخبار ، و لعل أخر كتب التاريخ الإسلامي العام (2) إذ يغطي ما يربو عن تاريخ ألف عام في الدّولة الإسلامية .

و يبدو أنه لم يضف جديدا من حيث المنهج و المادة و لقد أشار الى مصادره في مقدمة الكتاب ، ونستثني من ذلك الجزء الأخير الذي يظهر فيه المؤرخ ملما بأحداث العصر و مهتما بتقصي أخباره .

و تجب الإشارة الى أنّ هذه المصادر التاريخية ليست كافية لتغطيت حاجة الباحثين في التاريخ الإسلامي الى المادة التاريخية و إنما هناك مصادر أخرى لها من الأهمية ما جعلتني أفرد لها فصلا خاصا ، سميته بـ " المصادر المكملة " سأحاول الحديث فيه عن أشهر هذه المصادر صلة بالتاريخ و المعرفة التاريخية الخاصة بالفترة الإسلامية .

---

(1) مثل كتابه المسمى بـ "شرح متن المنتهي" ، "شرح بديعية إبن حجة" .

(2) يستثني مؤرخنا الكبير " إبن خلدون " الذي سنحاول الحديث عنه ومن غير هذي دراسة أخرى إن شاء الله إذ أنني أنوي البحث عن كبار المؤرخين المسلمين في المغرب الإسلامي وسأفرد لهم دراسة على غرار هذه إن وفقني الله

الفصل الرابع
(المصادر المكملة للتاريخ الإسلامي)

الى جانب مصادر التاريخ الإسلامي التي أشرنا اليها سابقا هناك بعض المصنفات لا يمكن لأي باحث في التاريخ الإسلامي الإستغناء عنها ، ولا نبالغ في القول إذا إعتبرنا أنّ هناك بعض الإشارات التاريخية في هذه الكتب لا نجدها في كتب التاريخ نفسها و خاصة فيما يتعلق بالجوانب الحضارية كقضايا الفكر وموضوع الحياة الإجتماعية و الإقتصادية للعالم الإسلامي .

و يأتي في طليعة هذه المصادر كتاب القرآن الكريم وأسفار الأحاديث النبّوية الشريفة ، ثم تأتي بعدها كتب الطبقات و مصادر الجغرافية و الأدب و غير ذلك مما يدخل في خدمة البحث العلمي للتاريخ الإسلامي (1) .

1- القرآن الكريم : و يعد المصدر الأول المدوّن في تاريخ الإسلام و المسلمين وغيرهم من الشعوب التي سبقتهم . ويتكون القرآن الكريم من مجموعة كبيرة من الآيات منظمة تنظيما دقيقا ، و موزعة على مجموعة من " السور " ، هذه الصور مرتبطة على شكل أحزاب تعدادها ستون حزبا و الحزب مقسم الى ثمانية أثمان ، و ذلك من أجل تسهيل مهمة القراء والحفظة لهذا الكتاب المبين

و يمكن تقسيم سور القرآن الى قسمين أساسيين ، السور المكية أو الأيت المكية ، و التي نزلت في مكة المكرمة قبل هجرة النبيّ صلى الله عليه و سلم ، الى يثرب أي قبل سنة 622 م . وأما القسم الثاني فهو السور المدنية أو الآيات المدنية وهي التي أوحيت الى الرسول (ص) وهو في المدينة (من خريف سنة 622 م الى صيف 632 م من السنة الأولى للهجرة حتى السنة الحادية عشر) . (2)

و تجب الإشارة الى أنّ هذين القسمين مختلفين بإختلاف وضعية المسلمين و الإسلام ومركزهم

---

(1) لاحظت في عدة مناسبات حيرة طلبة التاريخ في جامعاتنا و شكاويهم من نقص بعض المعلومات لإستكمال بحوثهم و لتحليل نصوصهم و نادرا ما يهتدي بعضهم إلى المصادر المكملة للتاريخ الإسلامي رغم ما فيها من حلول لحيرتهم ، ومادة علمية لإخراج بحوثهم و دراساتهم بشكل متناسق و مقبول .

(2) صار من المعروف الآن أنّ كتاب القرآن الكريم قد نظمت سوره على أساس طولها لا على أساس فترة نزولها ونجد تصنيف السورة إن كانت مدنية أو مكية في بداية كل سورة .

الفصل الرابع
(المصادر المكملة للتاريخ الإسلامي)

الى جانب مصادر التاريخ الإسلامي التي أشرنا اليها سابقا هناك بعض المصنفات لا يمكن لأي باحث في التاريخ الإسلامي الإستغناء عنها ، ولا نبالغ في القول إذا إعتبرنا أنّ هناك بعض الإشارات التاريخية في هذه الكتب لا نجدها في كتب التاريخ نفسها و خاصة فيما يتعلق بالجوانب الحضارية كقضايا الفكر وموضوع الحياة الإجتماعية و الإقتصادية للعالم الإسلامي .

و يأتي في طليعة هذه المصادر كتاب القرآن الكريم وأسفار الأحاديث النبّوية الشريفة ، ثم تأتي بعدها كتب الطبقات و مصادر الجغرافية و الأدب و غير ذلك مما يدخل في خدمة البحث العلمي للتاريخ الإسلامي (1) .

1- القرآن الكريم : و يعد المصدر الأول المدوّن في تاريخ الإسلام و المسلمين وغيرهم من الشعوب التي سبقتهم . ويتكوّن القرآن الكريم من مجموعة كبيرة من الآيات منظمة تنظيما دقيقا ، و موزعة على مجموعة من " السور " ، هذه الصور مرتبطة على شكل أحزاب تعدادها ستون حزبا و الحزب مقسم الى ثمانية أثمان ، و ذلك من أجل تسهيل مهمة القراء والحفظة لهذا الكتاب المبين

و يمكن تقسيم سور القرآن الى قسمين أساسيين ، السور المكية أو الأيت المكية ، و التي نزلت في مكة المكرمة قبل هجرة النبيّ صلى الله عليه و سلم ، الى يثرب أي قبل سنة 622 م . وأما القسم الثاني فهو السور المدنية أو الآيات المدنية وهي التي أوحيت الى الرسول (ص) وهو في المدينة (من خريف سنة 622 م الى صيف 632 م من السنة الأولى للهجرة حتى السنة الحادية عشر) . (2)

و تجب الإشارة الى أنّ هذين القسمين مختلفين بإختلاف وضعية المسلمين و الإسلام ومركزهم

---

(1) لاحظت في عدة مناسبات حيرة طلبة التاريخ في جامعاتنا و شكاويهم من نقص بعض المعلومات لإستكمال بحوثهم و لتحليل نصوصهم و نادرا ما يهتدي بعضهم إلى المصادر المكملة للتاريخ الإسلامي رغم ما فيها من حلول لحيرتهم ، ومادة علمية لإخراج بحوثهم و دراساتهم بشكل متناسق و مقبول .

(2) صار من المعروف الآن أنّ كتاب القرآن الكريم قد نظمت سوره على أساس طولها لا على أساس فترة نزولها ونجد تصنيف السورة إن كانت مدنية أو مكية في بداية كل سورة .

في العالم وقتئد ، ففي زمن نزول السور المكية كان المسلمون أقلية مضطهدة فكانت الآيات تركز على مواضيع ثبات العقيدة و الصبر على الأذى والشدائد ، و الى العضة و الزهد في الدنيا وملذاتها و ذلك قصد تقوية إيمان المسلمين و تمتين عقيدتهم .

و أما وقت نزول الآيات المدنية فكان المسلمون أثناءها قد تهيأت لهم أسباب القوة و فرض الوجود ، فقوى إيمانهم و زاد إعتزازهم بهذا الدين الجديد و صاروا قادرين على تحدي المشركين و غيرهم ، فكانت الآيات المدنية تنحو منحنى تشريعي تنظيمي و ذلك قصد تكوين و تسريخ قواعد أمة جديدة و دولة متينة .

وفي الحقيقة فإنه من الصعوبة بمكان إعتماد الباحث على القرآن كمصدر للتاريخ ، و ذلك أنّ آياته التي تتحدث عن بعض الأحداث التاريخية . لا تهدف الى توضيح تلك الأحداث و إنما المقصود من إيرادها هو العبرة و العظة ، و قد جاءت بأسلوب مختصر دون تحديد للظرف الزماني أو المكاني التي يحتاجه المؤرخ عادة للحديث أو البحث عن الأحداث التاريخية أو تطورها

وبالرغم ما في القرآن الكريم من إشارات مستفيضة الى المشاكل و العراقيل التي واجهت النبي (ص) في الدعوة الإسلامية إلاّ أنها لا تغني بالغرض الذي يسعى اليه المؤرخ لإدراك البعد التاريخي لهذه الحركة الجذرية في تاريخ البشرية .

و لذلك فقد عكف المهتمون بهذا الكتاب المنزّل على تفسيره و إجلاء غموضه منهم في خدمة الدين الحنيف و تضمن كتب التفسير و شروحها وافية لما ورد في آيات القرآن الكريم من أخبار مختصرة عن الحوادث التاريخية سواء أكان ذلك في الفترة الجالية قبل الإسلام أو في الفترة التي تلتها .

و لقد نشأ علم التفسير منذ عصر النبي (ص) الذي يعد أول مفسّر للقرآن ثم تولى بعض الصحابة الأجلاء هذه المهمة بعده ثم التابعون و هكذا حتى صار لهذا العلم مفسرين مختصين أبدو قدرة فائقة على الإستنباط و التحليل و على إبداء الرأي أيضا . و إتجهوا في ذلك إتجاهات شتى نذكر منهم على سبيل المثال (1) " الطبري " صاحب كتاب " جامع البيان في تفسير القرآن " و إبن كثير (2) صاحب كتاب التفسير المعروف بإسمه وهو " تفسير إبن كثير " و تفسير الزمخشري (3) و تفسير الرازي (4) و تفسير " البيضاوي "(5) .

---

(1) منه انظر ما سبق (2) سبقت الإشارة اليه (3) توفي سنة 538 هـ
(4) توفي عام 606 هـ (5) توفي عام 685 هـ

2- كتب الحديث :

تعد من أصدق المصادر الإسلامية فيما يخص الحضارة والنظم ، و لقد ظهرت فكرة الإهتمام بأحاديث الرّسول (ص) منذ عهد مبكر بسبب الإعتماد عليها فيما يتعلق بشؤون المسلمين و قضاياهم الإجتماعية .

ومن المؤكد أنّ المصادر الأولى و الأساسية لأحاديث الرسول عليه السلام هي روايات الصحابة و التابعين و رغم ظهور فكرة تدوين الحديث منذ العصر الأول للإسلام إلاّ أن ظهور مصنفات في هذا الفرع لم تظهر إلاّ بعد ذلك بفترة طويلة نسبيا ، و بسبب إهتمام الخلفاء العباسيين الأوائل بها وتشجيع العلماء و الفقهاء على الجمع و التصنيف .

ولعل أقدم الأحاديث المدونة التي وصلت إلينا هي التي جمعت على يد الفقيه الجليل مالك إبن أنس (ت 179 هـ) ، وهي المجموعة التي تجمل عنوان " موطأ الإمام مالك " .

و تجب الإشارة الى أن الموطأ ليس مجرد أحاديث مجموعة و مرتبة و إنما هو عبارة عن كتاب فقهي تشريعي ، يستند على أحاديث الرسول (ص) الإستشهاد بها .

و الظاهر أن عملية التدوين الفعلي لأحاديث الرسول (ص) الكاملة لم يبدأ في تطبيقها إلاّ في القرن الثالث السياسي و لعل ذلك يرتبط إرتباطا أساسيا بشروط مادية و تقنية أساسهاوفرة الورق و شيوع فكرة التدوين و تطورها في هذا العصر .

ولقد توجهت هذه الأعمال بظهور مجموعة من كتب الحديث لعل أهمها :

1) صحيح البخاري ت 256هـ/870 م
2) صحيح مسلم ت 261هـ/875 م
3) سنن أبي داود ت 275هـ/887 م
4) سنن الترميذي ت 279هـ/892 م
5) سنن إبن ماجة ت 275هـ/887 م
6) سنن النسائي ت 303هـ/915 م

وهذه المجموعة هي جزء من كل لا يمكن إحصاؤه في مثل هذه الدراسة ، لكن يمكن الإشارة الى أنّها تتعرض الى مجمل المظاهر الحضارية فيما يتعلق بالحياة الدينية و الفكرية والإجتماعية ، و ذلك كان لا بد للباحث في التاريخ الإسلامي الإستعانة بها و الإعتماد عليها في خدمة البحث العلمي في ميدان التاريخ و الحضارة الإسلامية .

3- كتب الجغرافية و الرحلات :

و تعد من المصادر و المكملة لمصادر التاريخ الإسلامي ولعلها تنفرد ببعض المعلومات الهامة التي تعد من صميم إختصاص التاريخ ، كما لا تخلوا من معلومات تاريخية أيضا .

و لقد إهتم المسلمون بالجغرافية إهتماما بالغا و بدأو التأليف فيها منذ عهد مبكر قد يكون في نفس الوقت مع إهتمامهم بالتاريخ يدل على ذلك أنّ أغلب مصادر التاريخ الإسلامي تشير الى بعض الأقاليم و المسالك و الى طبيعة الأراضي و الجبال أحيانا .

و في الحقيقة فإن عمليات الفتح الإسلامي لمختلف البلدان في المشرق و المغرب قد دفعت المفكرين الى الإهتمام بالحديث عن هذه المناطق نظرا لجهل عامة الناس بأسرارها و طبيعتها .

و تجب الإشارة الى أنّ الجغرافيا - أو ما يسمى بـ " تقويم البلدان " كانت مطلوبة لا من طرف العلماء و المتعلمين فحسب، بل من طرف الجهاز الإداري ومن السلطة الحاكمة أيضا ، و ذلك لإرتباط هذا العلم بالشؤون الإقتصادية و نظام الضرائب وغير ذلك من وظائف الدّولة .

فالحاجة الى توضيح هذه الأمور الحيوية كانت دافعا لنمو علم الجغرافية عند المسلمين و مؤثرا في توجيه الى حد كبير ، فإهتم الجغرافيون بتقدير ثروات البلدان للوصول الى معرفة قدرتها على دفع الخراج " ضرائب الأرض " كما إعتنوا أيضا بقياس المسافات و الأبعاد ما بين المدن خدمة لديوان البريد وتسهيلا لمهام التجارة ووفود الحج أيضا .

هذا فضلا عن الإشارات الهامة الى طبيعة الأقاليم وعادات سكانها و تقاليدهم و هي عموما لا تخلو من فوائد يزكي بها الباحثون دراساتهم عن تاريخ الشعوب الإسلامية وحضاراتهم و نظمهم .

وفي الحقيقة أنّ أكثر المهتمين بهذا الفرع من فروع المعرفة كانوا من الرحالة الذين إستهوتهم مغامرة الأسفار وكشف أسرار هذه المعمورة ، ومن الصعوبات بمكان الإشارة الى هؤلاء الجغرافيين و الرحالة في هذه الدراسة المتواضعة ، ومع ذلك فإننا نحاول قدر الإمكان الإشارة الى بعضهم حتى يتمكن الباحثون في التاريخ الإسلامي من الإستزادة بالرجوع الى المصادر و كتب الجغرافية إن أرادوا .

و يأتي في طليعة هؤلاء الجغرافيين اليعقوبي و " إبن خرداذبة " المتوفي عام 300 هـ /912م (1) و الذي كان من موظفي الخلافة العباسية ، حيث إشتغل بديوان البريد في منطقة شمال غرب إيران ، ثم صار نديما للخليفة العباسي المعتمد على الله (25هـ/279 م) و من كتبه

---

(1) ذكره " المسعودي " صاحب كتاب " مروج الذهب " الذي تحدثنا عنه سابقا بأنه من أهم مصادره في التاريخ و ذكر له كتابا كبيرا في هذا الموضوع .

التي وصلتنا " كتاب المسالك و الممالك " الذي يعد حصيلة لأسفاره و تردده على الأقاليم و البلدان ، فتضمن بيانات وافية عن الطرق والمسافات ، وصفا دقيقا لطرق التجارة و مسالكها إبان القرن الثالث الهجري (1) و لم يقتصر حديثه عن الطرق و المسالك وإنما تحدث أيضا عن الممالك الدول التي كانت لها صلة بهذه التجارة و خاصة بلدان المشرق الأقصى .

و نظرا لأهمية كتاب " المسالك " فقد صار مصدرا هاما لكثير من الجغرافيين الذين جاءوا بعده ، ومنهم ، الأصطخري (إبراهيم بن محمد) المتوفي عام 346هـ/957م ، الذي أعطى لكتابه نفس العنوان الذي أعطاه إبن خرداذبة لكتابه وهو " المسالك و الممالك " .

ولقد إهتم الأصطخري بوصف الممالك الإسلامية وصفا دقيقا إعتمادا على ملاحظاته الشخصية في أغلب الأحيان (2) . و أما معاصره الهمذاني المعروف بـ " إبن الحائك " و المتوفي عام 344 هـ /945م فقد إقتصر مجهوده على بلاد العرب وحدها وسمى كتابه بـ " صفة الجزيرة العربية " إهتم به في الحديث عن آثار البلاد العربية الماثلة حتى عهده ، كما تناول الحديث عن المدن و سكانها و عن لغتها و كذلك إهتم بوصف طبيعة البلاد العربية من جبال و غيرها ، كما إهتم معاصره ، " إبن الفقيه الهمذاني " بالحديث عن المدن العربية سماه بـ " مختصر كتاب البلدان " و أفاض في وصف مدينتي العراق " البصرة " و " الكوفة " وما فيها من مظاهر الحياة الإجتماعية و العلاقات البشرية .

و لعل أشهر جغرافي القرن الرابع الهجري هو " المقدسي " صاحب كتاب " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " وهو خلاصة وافية لمشاهداته التي لاحظها خلال أسفاره الكثيرة في الديار الإسلامية ، و لقد إعتمد المقدسي في بداية كتابه على من سبقوه من الجغرافيين بعد أن تأكد من صحة أقوالهم بالمقارنة والمعاينة ، و قد أشار الى منهجه في ذلك فقال : " فرأيت أن أقصد علما قد أغفلوه و أنفرد بفن لم يذكروه إلاّ على الأخلال وهو ذكر الأقاليم الإسلامية وما فيها من المفاوز .وعناصر العقاقير والآلات ومعادن الحمل والتجارة ، وإختلاف أهل البلاد في كلامهم وأصواتهم وألسنتهم وألوانهم ومذاهبهم ومكاييلهم

---

(1) سبقه في هذا الميدان الجغرافي إبن رسته (أحمد بن عمر المتوفي حوالي 290هـ/903م) وهو صاحب كتاب " الأعلاق النفسية " و يشتمل وصف دقيق لطرق التجارة في القرن الثالث و ذلك بتحديد مراحلها و مسافاتها، كما أنه تناول بعض المدن التجارية كمدينة " صنعاء باليمن ، و بعض مظاهر الإمبراطورية البيزنطية ، و أصفهان وطبرستان و كلها كانت لها علاقة تجارية مع مركز الخلافة العباسية - بغداد -.

(2) يدعي أنه وصل برحلاته حتى بلاد الهند شرقا .

وأوزانهم ، و نقودهم و صروفهم وصفة مطاعمهم و شرابهم وثمارهم و مياههم و معرفة مفاخرهم وعيوبهم و ما يحمل من عندهم وإليهم و ما تم لي جمعه إلاّ بعد جولاتي في البلاد و الدخول أقاليم الإسلام ... و قد ذكرنا ما رأينا و حكينا ما سمعنا ، فما صح عندنا بالمعاينة و أخبار التواتر أرسلنا به القول ، وما شككنا فيه أسندناه ولم نذكر كتابنا إلاّ صدرا مشهورا أو عالما مذكورا أو سلطانا جليلا ... "

وهناك مصادر أخرى لا تقل أهمية عن كتب الجغرافية ولعلّها أحسن منها و خاصة في الميادين الحضارية و النظم الإجتماعية هي كتب الرحلات ، و لقد إهتم المسلمون إهتماما كبيرا بتنظيم الرحلات العلمية و الإكتشافية وفاقوا غيرهم من الشعوب في ذلك الوقت. و تجب الإشارة الى أنّ رغبة المسلمين في القيام بالرحلات قد واكبتها عوامل مساعدة منها وحدة اللّغة والمعتقد عبر إمبراطورية العالم الإسلامي الواسعة الأطراف ومنها شد الرحال الى الأماكن المقدسة قصد أداء فريضة الحج ، هذا فضلا عن قوافل التجار المسلمين التي كانت تجوب أنحاء العالم وقتئذ .

و قائمة الرحالين المسلمين طويلة لا يسعنا المجال لذكرها و نكتفي بذكر روادها و هم على التوالي :

أ- الرحالة ناصر خسرو : المتوفي عام 453هـ/1061م، وهو صاحب كتاب " سفر نامه " رحل من إيران موطنه الأصلي فزار معظم أقاليم المشرق (1) و خاصّة مصر في العهد الفاطمي التي أعجب بها و برخائها .

وقد سجل رحلته بالتفاصيل ووصفها شاهده ولاحظه بدقة و ذلك فإن رحلته هذه " سفر نامه " تعتبر من أهم المصادر في دراسة الحضارة الإسلامية في المشرق و في القرن الخامس الهجري أي قبل الغزو الصليبي (2) .

---

(1) مواطن تركستان و الهند و إستقر في " مرو" عاصمة خراسان و دخل في خدمة السلاطين و الغزنويين ، ثم السلاجقة ، ولقد رفع عصى الترحال من مرو الى الشام مارا بنيسابور و الري و تبريز حتى إنتهى الى القدس ومنها إتجه الى مكة ثم عاد الى بلاد الشام و منها الى مصر ، فسجل أخبار رحلته يوما بيوم .

(2) كتب الرحلة بالفارسية و قام الأستاذ " يحي الخشاب " بترجمتها الى اللّغة العربية .

و رغم أنه أفاض في وصف مصر إلاّ أن حديثه عن بقية الأقاليم و المدن الإسلامية يدل دلالة واضحة على عمق الملاحظة و أمانة الوصف لمظاهر الحياة الإجتماعية و الإقتصادية كما تدل على وعي عميق بحياة الشعوب و إدراك لمختلف الأنظمة وأساليب الحكم .

ب- إبن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد) 540-614هـ/1145-1217م ولد ببلنسية بالأندلس ، وصار من موظفي صاحب غرناطة إستهوته فكرة الرحلة الى المشرق سنة 578هـ/1182م فقام بثلاث رحلات زار خلالها معظم مدن المشرق (مصر والحجاز و العراق و بلاد الشام) .

ورحلته أشبه بمذكرات يومية تميزت بدقة الملاحظة و عمق التعبير عن المشاهدات فوصف المساجد و الأضرحة و الهياكل الأثرية كما إهتم أيضا بالمظاهر الإجتماعية والإقتصادية لسكان المدن التي زارها، و يعد كتابه الذي دون أخبار هذه الرحلات و المعروف بـ " رحلة إبن جبير " (1) من أهم مصادر لتاريخ و حضارة المشرق الإسلامي في عهد الحروب الصليبية.

ج- إبن بطوطة (محمد بن عبد الله) 703-779 هـ/1304-1377م من أعظم و أهم رحالات المسلمين ، وبدأ رحلته من المغرب الأقصى وهو موطنه الأصلي سنة 725هـ/1325م قاصدا البقاع المقدسة برّاً فمرّ على معظم مدن المغرب العربي الكبير (المغرب - الجزائر - تونس و ليبيا) ومنها الأندلس الى مصر و هكذا حتى بلغ بلاد الهند و إجتاز الى حدود الصين .

و الرحلة الثانية كانت بإتجاه الشمال أي الى شبه الجزيرة الأيبير (الأندلس) ، أما الرحلة الثالثة و الأخيرة فكانت الى الجنوب من المغرب أي بلاد السودان " إمبراطورية مالي وقتئذ" .

و لقد كان إبن بطوطة أكثر إستيعابا و إستفادة من هذه الرحلات ، كما كان من أهم الرّحالين المسلمين عناية بالمظاهر الحضارية و الإجتماعية لمختلف البلدان التي زارها حتى لقب بـ " أمير الرحالين المسلمين " .

و يرى أنّ صياغة الكتاب النهائية ليست من عمل إبن جبير و إنما كانت من طرف تلاميذه الذين أخذوا عنه الرحلة شفويا و قاموا بترتيبها .

---

(1) أما عنوان الكتاب " تذكرة بالأخبار عن إتفاقات الأسفار " طبع لأول مرة عام 1907، ليدن، تحقيق وليم رايت

وتعد رحلته لحد الآن من أوثق المصادر التاريخية و أكثرها شمولا للأحداث في مختلف مدن العالم المعروف وقتئذ ، ولقد سماها بعنوان " تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ".

وميزة الكتاب أنه كان ذا حظوة كبيرة في الإتصال بمعظم أمراء و ملوك الأقاليم التي زارها ، ومنهم كان يتلقى التشجيعات و الإعتبارات فضلا عن المعلومات ، و كذلك إكتسب هذا الكتاب شهرة عالية و يعد الآن من الروائع الفنية النادرة .

ومن المصادر الجغرافية المكملة للتاريخ الإسلامي كتب المعاجم ، و نخص بالذكر هنا مصدرين أساسيين كثيرا ما لاحضنا إستفادة الباحثين منها في أغلب دراساتهم عن المدن والحواضر الإسلامية أولها كتاب " معجم البلدان " لـ " ياقوت الحموي " (1) الذي فرغ من كتابته عام 621هـ/ 1224 م ، بعد إستفادته من كثرة الأسفار التي كان يقوم بها قصد التجارة ، ومن إشتغاله بنسخ الكتب و الإستفادة من خزائنها .

و لقد تحدث " ياقوت " عن معظم بلدان العالم الإسلامي المعروف حتى عصره ، و تتميز بالترتيب على الأحرف المعجمة و بالدقة في سرد الأحداث وإتساع المعلومات لدرجة أنه جمع ما بين الجغرافية والتاريخ و الأدب أيضا .

و لذلك يعد "معجمه" من أهم الموسوعات العربية الإسلامية في تاريخ المدن وحضارة سكانها وأنظمة حياتهم والإجتماعية والثقافية ، و ثانيهما كتاب " تقويم البلدان" لـ "أبي الفدا"(2) الذي فرغ منه سنة 721 هـ / 1321م وإعتمد فيه على المصادر التي سبقته الى مثل هذه المواضيع ،لكن الجديد في هذا الكتاب هو الإشارة الى مشاهداته الشخصية والروايات الشفوية إذ كان الرجل ولوعا بتقصي أخبار البلدان بالسماع الى التجار و الرحالة عن البلدان التي زاروها فتحدث عن معظم بلدان العالم المعروف في عصره .

و رغم أنّ أبي الفدا قد إجتهد في تحديد المواقع و الأمكنة و في نطق أسماء تلك المواقع إلاّ أنّ ذلك لا تعني الباحثين المعاصرين (3) بقدر ما تعنيهم الإشارة رغم قلتها الى الجوانب الحضارية كالنظم و العادات الإجتماعية التي تناول الحديث عن مواقعها و طبيعتها .

---

(1) ت 626هـ/1228م

(2) من هذا المؤلف راجع الفصل الثالث ، ص86

(3) بالنظر الى تطور الدراسات الحديثة في ميدان الجغرافيا الطبيعية تصبح كتابات الجغرافيين القدماء ذات قيمة تاريخية فقط

4- كتب الطبقات و التراجم :

يصنف الباحثون هذه الكتب عادة في صف الكتب التاريخية ، و ذلك لإتصالها الإتصال المباشر بهذا الموضوع وتعتني كتب الطبقات بتاريخ و سيرة مشاهير الرجال الذين ينتمون الى إتجاه معيّن أو مذهب محدد . كالصحابة ، و الأطباء و أهل الكلام، و أصحاب الحديث و غيرهم.

وتعتبر فكرة تنظيم المادة التاريخية على نسق طبقات الرجال فكرة إسلامية محضة مستوحاة من مظاهر وجود طبقة الصحابة و طبقة التابعين ، كما أنّ رواد التاريخ الإسلامي كانوا من المهتمين بهذا المنهج الترتيبي الوصفي مثل إبن سعيد الذي سبقت الإشارة إليه في الفصل الأول من هذه الدراسة .

ولقد تطورت هذه الفكرة بتطور علم الحديث و بظهور فكرة نقد الإسناد و غير ذلك فاسهمت مساهمة فعالة لا في نشأة التاريخ الإسلامي فحسب ، و إنما تزيد المادة التاريخية وتوسيع دائرتها ، صار أكثر المؤرخين جديّة يعتمدون إعتمادا كبيرا على كتب الطبقات .

ومن ثم فإن أي بحث جاء في حقل الدراسات الإسلامية يحتاج الى الإستعانة بهذه المصادر وقد يجد فيها الباحثون ما لا يجدونه في المصارد التاريخية المعروفة كتاريخ الطبري وإبن الأثير. ومن المؤكد أنّ قائمة مؤرخي الطبقات ومصنفاتهم طويلة جدا لا تسعها هذه الدراسة (1) و سنقتصر هنا على ذكر من لهم صلة مباشرة بالمضوع . و من لهم شهرة في تغطية أكبر فترة تاريخية في فترات التاريخ الإسلامي و ياتي في طليعتهم

ا - الخطيب البغدادي (أحمد بن علي) 392-463هـ/1002-1072م(2) .

نشأ في بغداد و إليها ينسب ، كثير الترحال واسع العلم و المعرفة و مكانته العلمية وسعة إطلاعه قربّته من رجال السلطة فكان في خدمة إبن سلمة وزير الخليفة القائم العباسي، و مذهبه الشافعي جلب إليه مضايقات فهاجر الى بلاد الشام وإستقر فيها ، له تاليف عديدة في مختلف الفنون (3) يهمنا منها في هذه الدراسة كتابه المسمى " تاريخ بغداد " مطبوع ومنشور في أربعة عشر مجلد، تحدث في بداية الكتاب عن مدينة بغداد وخصص لها فصلا

---

(1) انظر قائمة المصادر الملحقة بهذا الكتاب

(2)) للمزيد راجع دائرة المعارف الإسلامي ، مجلد 8 ص 391-392 خير الدين الزركلي، الاعلام جـ 1ص 127

(3)من كتبه المطبوعة كتاب " البخلاء " و " الكفاية في علم الرواية " و " تقييد العلم " و غير ذلك من المصنفات التي لا تزال اكثرها مخطوطة .

طويلا وافيا تناول فيه جغرافية المدينة بضواحيها ثم تحدث عن خطط بنائها و المظاهر الحضارية و الأثرية بها ، أما بقية الكتاب فهي عبارة عن تراجم لأشهر رجال بغــداد (من الفتح الإسلامي حتى عصره).

ولقد إهتم إهتماما خاصا بأهل العلم و منهم رجال الحديث بحيث كانت تراجمهم أوسع من تراجم غيرهم .

ب - إبن عســـاكـر (علي بن الحسين بن هبة الله) 499-571هـ/1150-1223م .

من أسرة شامية عريقة إشتهرت بالعلم ولد بدمشق، وفي تعلم على يدي كبار علماء المدينة وراء المسجد الأموي العظيم، و كان إبن عساكر ولوعا بتنظيم الرحلات فجاب أكثر مدن المشرق وعواصم الثقافة ولم يستقر هذا الكاتب إلاّ في حدود سنة 533هـ/1138م بعد أن نضج عقله و تهيأت له أسباب الملكة العلمية و القدرة على التأليف وعلى التدريس، حتى لقب بـ"الإمام الحافظ" (1) .

له تآليف عديدة أغلبها في " الفقه " ، أما فيما يخص كتب التاريخ فيهمنا منها كتابه الضخم المسمى " تاريخ مدينة دمشق" وهو من أوسع كتب تاريخ المدن و يعد ثروة في التراث العربي الإسلامي بالشام .

إتبع إبن عساكر منهج المحدثين في كتابة التاريخ بذكره الأسانيد لمختلف كل الروايات التي أوردها في هذا السفر الكبير ، و قد إهتم أولا بتاريخ مدينة دمشق - على غرار ما فعل البغدادي بالنسبة لمدينة بغداد (2) .

فذكر علاقة الرسول (ص) بها ثم إهتمام الصحابة و القادة الفاتحين بهذه المدينة ، فذكر فضائلها و شيم أهلها ثم خصص جانبا كبيرا للحديث عن الفتوحات الإسلامية و بلاد الشام عامة و دمشق خاصـة ، ثم إستطرد في الحديث عن العمـارة بهذه المدينة العريقة فذكر خططها ومساجدها و كنائسها و لم يهمل الحديث عن هوائها و أنهارها مثل نهر بردة " .

وبعدها حوّل إبن عساكر كتابه الى كتاب تراجم - على نحو ما فعل البغدادي - فخص الحديث عن رجال الفكر في هذه المدينة و خاصّة أهل الحديث و رجال الفقه الإسلامي ورتبهم ترتيبا أبجاديا فجاء صورة متشابهة لمنهج البغدادي السالف الذكر .

---

(1) منها كتب " كشط المغطى و فضل الموطا "و كتاب " اربعون حديثا من اربعين شيخا " و كتاب " تبيين كذب المفتري في ما نسب الى ابي الحسن الاشعري " .

(2) أنظر ما سبق ، ص

ولقد لقي كتاب إبن عساكر إهتماما كبيرا من جانب معاصريه فإختصروه و ذيلوه، منهم الشيخ عبد القادربدران الذي لخصه بحذف الأسانيد والمكرّارات من الروايات والأخبار وسماه "تهذيب تاريخ إبن عساكر" كما إهتم به رجال المجمع العلمي العربي بدمشق بطباعة الأصل ونشره .

جـ - إبن خلكان (أحمد بن محمد) 608-681هـ/1211-1282م

قام بترجمة لأشهر الأعلام في تاريخ الجاهلية و الإسلام ، حتى سنة 654 هـ و يعد كتابه المسمى بـ " وفيات الأعيان وأنباء أنباء الزمان " من أهم المصادر التاريخية إلاّ أنه إقتصر على من عرف سنة وفاتهم ، فإحتوى كتابه المطبوع في ستة مجلدات على 826 ترجمة رتبها ترتيبا أبجديا .

ولقد لقي هذا المصدر رواجا كبيرا في عصره و قدره العلماء و المؤرخون حق قدره و لذلك حاول بعضهم إستكمال هذا المشروع لإضافة بعض الترجمات التي أهملها إبن خلكان - لعدم إطلاعه على سني وفاتهم - ومن هؤلاء المهتمين محمد بن شاكر المتوفي سنة 764هـ/1361م ، الذي كتب كتابا جعله ذيلا لكتاب " إبن خلكان " سماه " وفيات الأعيان " مطبوع طباعة حديثة في ستة مجلدات (المجلد الأخير خاص بالفهارس) ولا يختلف منهج إبن شاكر عن منهج إبن خلكان، ولقد إستوعب كتابه 483 ترجمة .

ويعد الكتابان من أهم مصادر التاريخ الإسلامي إذ أنهما يكملان بعضهما و يغطيان فترة طويلة نسبيا من التاريخ الإسلامي .

ومن كتب الطبقات التي تخدم مادّة التاريخ الإسلامي كتاب إبن الأثير (1) المسمى بـ " أسد الغابة في معرفة الصحابة " في ستة أجزاء يتحدث فيها عن معظم الصحابة الأجلاء . ومنها كتاب بن أبي أصيبيعة المسمى " عيون الأنبياء في طبقات الأطباء " و طبع في جزئين ضخمين ويهتم إهتماما خاصا بترجمة و أعمال الأطباء الذي أفلح فيه المسلمون و قدّموا فيه للبشرية خدمة لا تقدر بثمن في وقت كان فيه سكان العالم يعانون من الأمراض و الأوبئة الفتاكة .

ومن الموسوعات في طبقات مشاهير الرجال في الدولة الإسلامية كتاب الذهبي (2) المسمى بـ " سير أعلام النبلاء " وكان يهدف به الى التعريف بأعيان و كبار رجال

---

(1) عنه راجع ما سبق ، ص

(2) عن الذهبي ، أنظر ما سبق ، ص

لتاريخ في كل علم على إختلاف العصور ، فأفرد للسيرة النبوية الشريفة وسيرة الخلفاء الراشدين المجلدين الأولين ثم بدأ بسيرة الصحابة الأجلاء المبشرين بالجنة و بعدهم كبار الصحابة ثم التابعين وهكذا حتى عهد "السلطان المنصور علي بن المعزيك التركماني سلطان مصر" .

و يعد كتاب " سيرة الأعلام النبلاء " من كتب التراث العربي الإسلامي الهامّة لأنه لم يقتصر على طبقة معينة بل ترجم لأغلب أعلام التاريخ الإسلامي سواء أكانوا من رجال السياسة أو أصحاب الفكر ، ومنهجه في هذا السفر العظيم نفس منهج المؤرخين المسلمين بحيث كان يحترم نظام الأسناد ويسرد مصادره التي إعتمد عليها في بعض الأحيان .

وتظهر أهمية كتاب الذهبي أكثر في التراجم الأخيرة وخاصة تلك التي عاصرها و ذلك نظرا لإسهامه في الترجمة لهم فضلا عن إعتماده على مصادر بعضها مكتوب و بعضها شفوي والتي تعد الآن في حكم المفقودات .

5 - كتب الحسبة :

وتعد من أهم المصادر المساعدة على بناء التاريخ الإسلامي الوسيط لما لموضوعها من أهمية بالغة في تاريخ الحضارة الإسلامية و نظمها .

وأصل نظام الحسبة إنبثق عن مبدأ " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " و هو مبدأ له أهميته في الدين الإسلامي ، و قد تطور هذا المبدأ بتطور المجتمعات الإسلامية الى أن صار يمثل مؤسسة من بين مؤسسات الدولة الإسلامية ، تقوم بخدمة إقتصادية و إجتماعية و ثقافية و أمنية لمجتمع المدينة الإسلامية كالسهر على نظافة شوارع المدينة و مراقبة أسواقها و الحفاظ على أمن المواطن من مختلف أنواع الغش التي تعرقل حياته وتبتز أمواله .

لقد وصلت إلينا كتب كثيرة إهتم أصحابها بالإشارة الى أعمال " المحتسب " و الى الكثير من القضايا الإقتصادية والإجتماعية التي إعترضت السكان في المدن الإسلامية .

و يأتي في مقدمة هذه الكتب كتاب " الأحكام السلطانية " للماوردي (1) الذي خصص

(1) توفي سنة 450هـ/1058 م

بابا مستقلا لوظيفة الحسبة وأعمال المحتسب (1) ، بدأه بتعريف الحسبة ، و تعرض لذكر الفرق بين المحتسب المتطوع و المحتسب المكلف ، ثم تطرق بعد ذلك الى الحديث عن أحكام هذه الوظيفة الشرعية و ذكر قواعدها وشروطها .

ومن أهم المصنفات المتخصصة في هذا الموضوع مصنف "نهاية الرتبة في طلب الحسبة " لعبد الرحمن بن نصر الشيزري (2) ، وهو من أوثق المصادر المهتمة بهذا الميدان ، حاول شرح مختلف أنواع الغشوش التي يتحايل بها أصحاب الحرف و الصناعات ، و يهتم الكتاب بالإشارة الى بعض المظاهر الإجتماعية و الإقتصادية الخاصة بعصره وهو القرن 6هـ/12م .

و إلى جانب ذلك تكمن أهمية الكتاب في قيمة المعلومات الواردة ، التي يكاد ينفرد بها دون غيره ، و تختص بمواضيع هامة لا تزال تفتقر إليها مكتبة التاريخ الإسلامي مثل الدراسات الإقتصادية و خاصة مواضيعها الدقيقة المتصلة بنشاط المسلمين في العصور الوسطى ، كالحرف و أنواع الصناعات و مشاكل المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت (3) .

وإتبع منهج الشيزري كتاب آخرون منهم " محمد بن أحمد بن بسام " الذي ألف كتابا في الحسبة وهو من أوسع مصنفات الحسبة التي وصلتنا لحد الآن من حيث تعداد أبواب هذه الوظيفة ، حيث إحتوى كتابه على 118 بابا (4) ، هذا التأليف شديد الشبّه بما كتبه الشيزري إلا أنه يتميز عنه بإضافات وافية حول عدد هام من المعلومات كان " إبن بسام " قد إستخلصها من تجاربه الميدانية حيث كان يشتغل محاسبا في ذلك الوقت .

ومن المصارد الهامة التي وصلتنا في هذا الكتاب " معالم القربة في أحكام الحسبة " (5)

(1) الباب الأخير وهو " الباب العشرون "

(2) توفي سنة 589هـ/1193م ، نشر كتابه بعناية الدكتور الباز العريني، القاهرة، 1946

(3) جاء في مقدمة كتابه " وقد سألني من إستند لمنصب الحسبة ، و قلد النظر في مصالح الرعية و كشف أحوال السوق و أمور المتعيشين أن أجمع له مختصرا كافيا في سلوك منهج الحسبة على الوجه المشروع ليكون عمادا لسياسته و قواما لرياسته فلجبته الى ملتمسه ذاهبا الى الوجازة .... و إقتصرت على ذكر الحرف المشهور دون غيرها لمسيس الحاجة إليها وجعلته أربعين بابا ... الشيزري ، ص 3.

(4) قام د حسام الدين السامرائي بتحقيق مخطوطة و التعليق عليها ، ويحوى الكتاب على مقدمة هامة كتبها د صالح العلى عند قيام مطبعة المعارف بنشر هذه المخطوطة ببغداد ، 1968 .

(5) قام الأستاذان محمد محمود شعبان و المطيعي بتحقيق هذا المصنف و كتبا مقدمة وافية ص3-41 ، وقد أشرفت الهيئة المصرية العامة للكتاب على طبعه و نشره عام 1976 .

إخوة (1) ، و إتبع فيه نفس منهجية من سبقوه ، وأهم ما يميزه رسمه لمختلف الحرف والصناعات الرائجة في عصره .

6- كتب الخراج

وتعني كلمة " الخراج " الضريبة التي فرضها المسلمون الفاتحون على الأراضي التي هزم أصحابها أمام الجيش الإسلامي ، وتطور المصطلح لدى الكتاب الأدريين ليشمل النظام الضرائبي بمختلف تعقيداته ، و لذلك فإن الكتب التي تتناول موضوع الخراج في الدولة الإسلامية تتناول بصفة عامة النظام المالي لهذه الدولة .

وفي الحقيقة فإن ما ألف في هذا الموضوع يحتوى على معلومات تاريخية هامة و قد صنفت لتكون بمثابة المرشد الشرعي و الدليل العملي للموظفين و رجال الدواوين العاملين في الإدارة المالية .

ومن أهم ما كتب حول هذا الموضوع كتاب " الخراج " لأبي يوسف (2) الذي يعد من أقدم مصادر النظم الإسلامية . ويفهم من مقدمة الكتاب أنّ صاحبه قد كتبه على شكل تقرير كان قد طلبه منه الخليفة العباسي " هرون الرشيد " الذي أراد أن يطلع على هذا النظام المالي لدولته

ويتضمن كتاب الخراج معلومات وافية ومتنوعة تعالج أولا مختلف الضرائب في تشريع الدولة الإسلامية ثم يتناول قضية الأرض وتنظيم إرادتها و كيفية ملكيتها ووضعيتها القانونية بالنسبة لضريبة الخراج ، و لذلك فإنه يعد مصدرا هاما لا يمكن الإستغناء عنه في البحث عن النظام المالي للدولة الإسلامية في العصور الوسطى .

و تلت بعد كتاب أبي يوسف مصنفات عديدة على نفس منهجه ، وكانت الغاية الأساسية لهذه المؤلفات في بيان الأحكام الفقهية ، وكان من الضروري الإستشهاد ببعض الوقائع التاريخية لإستنباط الأحكام منها .

ولئن كانت هذه الوقائع تقتصر على عصر الرسول (ص) و الخلفاء الراشدين فإنّ هناك إشارات مهمة إلى الأنضمة المالية في عهده الخلفاء الأمويين و العباسيين .

---

(1) توفي سنة 729هـ/1329م .

(2) هو يعقوب بن إبراهيم توفي سنة 192 هـ . وكان يشتغل في منصب قاضي قضاة الخلافة العباسية لعدد كبير من خلفاء العصر العباسي الأول .

ومن بين هذه المصنفات كتاب " يحي بن آدم القرشي " الذي يحمل نفس عنوان كتاب أبي يوسف ، و صنف أبو عبيد بن سلام الموضوع نفسه كتابه المعروف بـ " الأموال " وأصبح موضوع الخراج منذ بداية القرن الرابع الهجري إحدى الأبواب الرئيسية في كتب الفقه الإسلامي ، وقد بلغ دقته على يدي الفقيه المنظر " الماوردي " صاحب كتاب " الأحكام السلطانية " ، الذي أفرد لموضوع الخراج بابا خاصا يعد حتى الآن من أهم ما كتب حول هذا الموضوع .

7- كتب العقائد و الفرق

تناول المسلمون موضوع العقائد ومذاهب الفرق الدينية بشيئ من الإسهاب ، و قد ألفوا في هذا الصنف عددا هاما من الكتب تعد الآن مصادر مساعدة للتاريخ الإسلامي لا يمكن الإستغناء عنها .

وتجب الإشارة إلى أنّ هذه الكتب لا تتناول الجانب الفقهي أثناء حديثنا عن عقائد هذه الفرق و مبادئها و إنماتشير إلى ذلك مواقفها السياسية أيضا ، و علاقتها بالسلطة في ذلك الوقت.

ولا شك أنّ الباحثين الناشئين يعرفون الكثير عن موقف فرق الشيعة و الخوارج من الخلافة الأموية و العباسية و الحجج و الإتهامات الكثيرة التي راحت بين تلك الأطراف المتصارعة

ومن الصعوبة بمكان الإشارة هنا إلى تلك المصنفات التي تتناول هذا الموضوع لكثرتها إذ تحتاج في حد ذاتها إلى بحث منفصل ، لكن نقتصرها على ذكر رواد هذه المؤلفات لما لها من أهمية في مساعدة الباحث الناشئ في التاريخ الإسلامي .

- إبن حزم (1) : صاحب كتاب " الفصل في الملل والنحل " ، و يتحدث فيه عن عقائد الفرق الإسلامية و غير الإسلامية ، ويناقش هذه العقائد من وجهة نظر إسلامية صحيحة ويعقد بين تلك الفرق المقارنات ، ويتناول من خلال ذلك العديد من القضايا التي تمس فكرة التوحيد و الفلسفة الإسلامية ، و لقد أثبت إبن حزم قدرة فائقة على مناقشة الآراء المختلفة وعرض وجهات نظرهم ، و لذلك فإنه يعد من أهم المصادر الفقهية و التاريخية و أقدمها

---

(1) هو الإمام على بن محمد (384-456هـ/993-1064م

في عرض مبادئ وأفكار فرق الشيعة والخوارج و المعتزلة و نظرا لما لهذه الفرق من أهمية في التراث الإسلامي فإنّ الإعتماد على هذا المصدر يعد ضروري في نظري .

- الشهرستاني(1) : وهو صاحب كتاب " الملل والنحل " ، يتحدث فيه عن المبادئ و الأسس التي قامت عليها هذه الملل والنحل ، وقسم رواد و زعماء هذه الفرق حسب آرائهم الدينية و المذهبية ، فالفئة الأولى هي فئة أهل الديانات و الملل ، والفئة الثانية هي أهل الأهواء والنحل ، وفصل في الحديث عن معقدات كل طائفة ، وحاول تنفيذ كل هذه المعتقدات إعتمادا على الأدلة الشرعية الصحيحة المستندة من الشريعة و من السنة وما هو مأثور عن الصحابة والتابعين و إنتهى الشهرستاني بعد ذلك الى تحديد الفرق الضالة الخارجة عن الدين الإسلامي و إلى الفرق المهتدية .

و أشار هذا الفقيه المجتهد إلى الشبهات التي يقع فيها أهل المذاهب و تؤدي بهم الى الإختلافات و التناحر ، ذلك من خلال المناظرات و الحاورات العديدة التي عقدها هذا المؤلف بين زعماء هذه الفرق ومفكريها .

- البغدادي (2) : وهو صاحب كتاب " الفرق بين الفرق " وهو مجلد واحد عبارة عن دراسة مقارنة بين الفرق المختلفة في تاريخ الدولة الإسلامية ،وميزة كتاب البغدادي أنه كان مستوعبا لهذا الموضوع المعقد فعرض المؤلف المقارنة بين الفرق الإسلامية عرضا مضبوطا ودقيقا مما سهل مهمة الباحثين الإطلاع على مثل هذه القضايا الفكرية المتشعبة و المعقدة في نفس الوقت .

8- الكتابات الأثرية وكتب الخطط

ومن أهم المصادر الأساسية التي يحتاج إليها الباحثون المعاصرون لإعادة بناء التاريخ الإسلامي ووضعه على أسس صحيحة هي المصادر الأثرية من نقوش،ومسكوكات،ووثائق، رسمية .

وقد ثبت أنّ المصادر المكتوبة لا تكفي وحدها لتثبت الحقائق التاريخية إذ تحتاج إلى ما يدعمها من آثار مادية سواء أكانت تلك الآثار ثابتة أو شاهدة عن الماضي أم المنقولة والمحفوظة

(1) هو محمد بن عبد الكريم (476-548هـ/1075-1153م

(2) هو بعد القاهر بن طاهر (توفي سنة 429هـ/1037م

في المتاحف ودور الأرشيف .

ولا شك أنّ المعلومات التاريخية التي تستخرج من هذه الآثار مهما كانت قليلة تعد أصلية ومحايدة في نظر الباحثين ، وقد مكنت عددا هاما من المؤرخين من تصحيح الكثير من الأخطاء التاريخية التي كانت سببها تشويهات الرواة والإخباريين و تحريفات النساخ .

والملاحظ أنّ المسلمين الأوائل قد أقبلوا على تسجيل العديد من المعلومات وبمختلف أنواع الخطوط على جدران المساجد والمحارب وعلى شهود القبور، وفي الأضرحة وعلى مختلف المنسوجات .

ولئن كانت الصبغة العامة لهذه الآثار المنقوشة هي قلة التنوع وكثرة التكرار إلا أنّ هناك معلومات لا يستغني عنها مثل الإشارة الى أعمال الخلفاء العمراية و أسماء منشئيها من المعماريين ومهندسين ،والفترات الزمنية التي تمت فيها هذه المنشآت والأشخاص الذين أسهموافي مثل هذه المشاريع ، وغير ذلك من المعلومات لاتي لا نجدها في أكثر المصادر التاريخية دقة .

ومن المعلومات التاريخية التي لا يمكن الطعن في صحتها ما يستخلصه الباحثون من النقوش المضروبة على العملات الإسلامية ،-الدينار والدرهم خاصة – إذا أنّ الكتابات المضروبة على العملة تتضمن عادة أسماء الخلفاء والقابهم ،وتاريخ الضرب ومكانه ،ولذلك فإنّ هذه المعلومات تفيد الباحث في توضيح كثير من الأحداث السياسية والإقتصادية أيضا ،فمن الناحية السياسية تثبت العملات أو تنفي تبعية الولات للخلفاء حاكم الإدارة المركزية في دمشق وبغداد ،ومن الناحية الإقتصادية فإن فائدتها أكثر أهمية إذ أنّ عملية العثور عليها بكميات في مكان ما يدل في أكثر الأحيان على الآفاق التي إمتد إليها تجارة المسلمين في العصور الوسطى ،كما أنّ نوعية النقد المستعمل ومدى إشتداد الإقبال عليه يفيد الباحث في تقرير التطور الإقتصادي للدولة في ذلك العصر الذي تنتمي إليه تلك العملات .

-كتب الخطط : وهي كتب يميل أصحابها إلى الإهتمام بآثار الأولين أكثر من الإهتمام بتاريخهم فتقتصر في الحديث على منازل القبائل العربية في مراكز إستيطانها الجديدة بعد عمليات الفتح، ولقد بدأت هذه العملية في مواطن العراق أولا ،وأهم ما وصل إلينا حول هذا الموضوع كتاب "إبن أبي طاهر " وعنوانه " أخبار بغداد " إذ يشمل على فصل خاص بخطط مدينة بغداد وأرباضها(1) .

(1) سبقه إبن عبد الحكم حيث إهتم بخطط مصر " الفسطاط " في كتبه " فتوح مصر و المغرب " ،كما تحدث البلاذري – سبقت الإشارة إليه – في كتابه " الفتوح " عن خطط أهم مدن العراق كالبصرة و الكوفة .

ويبدوا أنّ هذا الصنف من التأليف قد لقي عناية خاصة لدى المؤلفين المصريين ويأتي في مقدمتهم المؤرخ " المقريزي" (1) صاحب كتاب " المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار ، حيث تحدث عن مدن مصر و آثارها في العهد الفرعوني و العهود الإسلامية، ولذلك فإنّ هذا الكتاب يعد من أقدم المصادر ذات القيمة الهامة فيما يخص هذا الموضوع .

-الوثائق و الكتابات الرسمية: من الصعب أن نتحدث عن الوثائق ذات القيمة التاريخية لعصور متوغلة في القدم كعصر صدر الإسلام أو الخلافة الأموية و العباسية ،إذ أنه مع كثرة هذه الوثائق لم يصلنا منها للأسف غير القليل .

والقصد من الوثائق هنا تلك الأوراق الحكومية والبيانية الرسمية التي كان يصدرها الخلفاء و الأمراء إلى رؤساء دواوينهم ، وهذه الدواوين بالذات هي التي تعرضت لعمليات الحرق سواء أكانت عفوية أو عمدا .

ولم يكن مضمون هذه الوثائق يتعلق بقضايا تسيير إدارة الدولة الإسلامية كما يفهم عادة، ولكنها كانت تتعلق ببعض القضايا الإجتماعية والإقتصادية وغير ذلك من شؤون المسلمين في العصور الوسطى .

ولحسن الحظ فإنه لدينا بعض النماذج من هذه الوثائق ذات القيمة التاريخية الهامة رغم قلتها ،ويمكن حصر مصدر هذه الوثائق في النقاط التالية .

1- الوثائق الواردة في بطون الكتب التاريخية و الأدبية ، إستخدمها المؤرخون القدماء عندما كانوا يؤرخون لأحداث عصرهم ،وعندما كانوا يعتمدون على الرواة الحفظة لنصوص هذه الوثائق ،وهي عادة ما تكون مراسلات وخطب و أوامر سلطانية ،فكتاب المؤرخ " الطبري " (2) على سبيل المثال يتضمن عددا هائلا من هذه الوثائق تتناول بعض القضايا التاريخية التي تتعلق بمختلف مراحل تطور الدولة الإسلامية حتى وفاته في بداية القرن الرابع الهجري ،وسار على منهج الطبري عدد كبير من المؤرخين والأدباء كالمسعودي وإبن الأثير وغيرهما (3) ،وقد تمكن أحد الباحثين المعاصرين وهو " محمد ماهر حمادة " من الإستفادة من هذا الموضوع حيث قام

(1) هو تقي الدين أحمد بن علي ، توفي سنة 845 هـ .

(2) سبق الحديث عنه في مواضيع مختلفة في هذا الكتاب ، أنظر ص

(3) منهما راجع ، ص ، ص

بنشر سلسلة من الكتب مختلفة الأحجام تتناول موضوع الوثائق الإسلامية العائدة إلى مختلف عصور الدولة الإسلامية ،ننصح الباحثين الناشئين بمحاولة الإعتماد عليها .

2- الوقفيات ،وهي وثائق تتناول جانبا هاما من جوانب حياة الأفراد في المجتمع الإسلامي ،وتتعلق مواضيعها بمحاولة المسلمين الحفاظ على العقارات والمنشآت العمرانية ،وعقود البيع والشراء وعمليات الإستبدال ،ووقف المداخيل لغرض ديني خيري كخدمة المساجد والكتاتيب والمستشفيات وغيرهم من المؤسسات ذات الخدمة العامة .

وأهمية هذه الوثائق رغم قلتها تظهر إشاراتها إلى المنشآت المعمارية المختلفة وإلى تقدير حجم مداخيل الضياع الموقوفة مما يفيد الباحث في الكثير من الحقائق التي قد لا يجدها في مصادر التاريخ المختلفة .

3- البرديات ،وقد أكتشفت حديثا ،وأهتم بها بعض المستشرقين أمثال " جروهمان "(1) وهي وثائق محفوظة تتعلق ببعض مظاهر الحياة الإجتماعية والإقتصادية للمجتمع المصري إبتداء من أواخر العصر الأموي (2) .

9-كتب الأدب

يعتبر شعر و أدب أي أمة مصدرا من مصادر الهامة لتاريخ تلك الأمة و حضارة شعبها ،فالشعر و الأدب يصوران أحوال المجتمع بمختلف مظاهرها تصويرا دقيقا و عميقا قد تعجز الكتابات التاريخية عن تصويره و إيصاله للأجيال ولذلك قد حفظت القصائد الشعرية و ألنصوص الأدبية الأدبية الكثيرة من المظاهر صارت مرآة للمؤرخين إنعكست عليها الصور الصادقة لحياة الأمة التي أنجبت ذلك الأدب .

ولعلّ أوضح مثال على ذلك الشعر العربي في الجاهلية ،الذي لولاه لما كانت لدينا هذه الصورة شبه الكاملة عن حضارة و أخلاق العرب قبل الإسلام ،ولا يهمنا دراسة هذا الشعر وما تعرض له من زيف في هذا البحث ،لأن مجاله غير هذا ،ولكن الذي يعنينا هو إلى أي مدى يمكن

(1) GROHMAN : كرس مجهودا معتبرا لتنظيم هذه الوثائق وأسهم ببحوث هامة حول هذا الموضوع ،ترجمت هذه الأبحاث إلى اللغة العربية على يدي المؤرخ القدير " حسن إبراهيم حسن " تحت عنوان " أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية " .

(2) من الوثائق المكتشفة ما يرجع اى عصر الوالي الأموي على ولاية مصر " قرة بن شريك (90هـ/96هـ) .

للباحث في التاريخ الإسلامي خاصة الإستفادة من كتب ومصادر الأدب لخدمة أبحاثه و دراساته في التاريخ الإسلامي .

إنّ رصيد المسلمين وتراثهم من المصادر الأدبية غنيّ جدا لا تسعه هذه الدراسة . ولكن يجب الإشارة إلى أنّ كتب الأدب تزخر بذكر الروايات التاريخية التي تتعلق بقضايا إجتماعية وإقتصادية لا يمكن للباحث في التاريخ الإسلامي وحضارته إهمالها .ومن بين هذه المصادر نذكر كتابات

-الجاحظ (1) الأدبية. التي تعد في حدّ ذاتها دائرة معارف واسعة أحاطت بصور وافية عن أهل عصره .ويرى أنه من بين أهم الكاتب المكثرين في التراث العربي الإسلامي .ولقد تنوعت كتاباته حتى شملت مختلف الميادين العلمية المعروفة في عصره .يهمنا منها كتاب " البيان و التبيين " وهو في مجلدين تطرق فيه إلى مواضيع شتى أهما بعض مظاهر الحركة النقدية للأدب و الشعر وتطورها عند العرب المسلمين حتى عصره .كما يتضمن إشارات طريفة إلى المذاهب الدينية و الإتجاهات السياسية في الدولة الإسلامية حتى عصره .ومدى إسهامها في الجياة الفكرية للأمة العربية الإسلامية .هذا فضلا عن الإشارات الهامة لبعض مظاهر العادات العربية التي لا تزال حتى ذلك الوقت موضع إحترام ومثل " العصا "ودورها في حياة العربي (*)

ومن كتبه الهامة " كتاب الحيوان " الذي أهداه الى صديقه الوزير إبن الزيات " وزير الخليفة العباسي المعتصم بالله " .. وهو موسوعة يتناول الحديث فيها عن أغلب معارف ذلك العصر .ويعرضها على شكل مناظرات من خلال حديثه عن مختلف الحيونات المعروفة في عصره فتناول خصائصها وما يتصل بها منه قصص وهذه القصص هي التي تستتر وراءها هذا الأديب ليبرز من خلالها منهاجا علميا قائما على الشك للوصول إلى الحقائق العلمية في أكثر المجالات .

---

(1) هو ابو عثمان عمر بن بحر 159-255هـ/775-868م ، نشأ في البصرة نشأة فقيرة وولع بطلب العلم فكان يكتري حوانيت الوراقين للإطلاع على المخطوطات وثم رحل الى بعض المراكز الثقافية في مختلف مدن عصره وحين تجاوز عمره خمسين سنة إكتملت لديه الملكة العلمية .وأخذ في إنتاج الكتب الأدبية و الحضارية فصار من المقربين الى أهل البلاط العباسي .

(*) يفهم من إهتمامه بهذه الجوانب تصديه للرد عن إدعاءات الشعوبيين الذين تطاولوا على العرب في عصره .فردّ عنهم بالحجة ودافع عن العرب دفاعا فيه حرارة و صدق .
تحدثت عن مظاهر الشعوبية، وخصّصت لها فصلا خاصا في كتابي"ابحاث وآراء في تاريخ المشرق"

إذ تحدث عن الطب و الصيدلة كما تحدث عن المناقشات الفلسفية و الآراء الكلامية قدر حديثه عن الملل والنحل والتيارات الأدبية وبذلك يكون الجاحظ قد صور الحياة الإجتماعية والفكرية لعصره تصويرا يندروجوده عند غيره ، وخاصة في تلك الفترة المبكرة من الحضارة العربية الإسلامية ولذلك نخلص إلى القول أنّ مثل هذه الكتابات لا غنى عنها وأما كتابه المسمى بـ"البخلاء" فهو في جزء واحد صور فيه الجاحظ أخلاق و تصرفات هذه الفئة من الناس وأساليبهم في الحرص على المال و الإقتصاد في النفقة وهي ظاهرة يزدريها العربي ويحتقرها .ومن ثم كان هذا الكتاب محاولة منه الى التشهير بعادات الشعوبيين " أهل الفرس وأقاليم خرسان " .

وهو لا يقتصر على موضوع واحد .وإنما يحفل بمظاهر شتى ذات إهتمامات تاريخية يصعب وجودها في مصادر التاريخ التي سبقت الإشارة إليها وذلك كمثل حديثه عن ملابس العرب ونظام أطعمتهم في فترة الشدّة و الرّخاء وعاداتهم في كرم الضيافة ، وتطرق أيضا إلى بعض أوجه العمران و البناء في عصره و خاصة في مدينتي البصرة و بغداد .

ومهما يكن من أمر ما جاء به هذا المؤلف من معلومات هامة للباحث في حقل التاريخ فإن معظم النقاد يجمعون على أنّ الجاحظ بكتابه هذا قد فتح إتجاها جديدا في الحياة العقلية والفكرية للمجتمع العباسي في القرن الثالث الهجري يمكن تسميته بـ " النقد الإجتماعي " وهي ظاهرة لها من الأهمية بمكان إذ من بين نتائجها يمكن للمجتمع من تقويم عاداته وتهذيب أخلاقياته و ذلك قصد الوصول إلى حياة أفضل .

-المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي) 210-285هـ/826-898م وهو فقيه وأديب بارع كان إهتمامه الأول يقتصرعلى مجال اللّغويات.ولكن تأليفه الموسوعي في هذا الميدان والمسمى بكتاب " الكامل " أدخله في عداد المهتمين بالمظاهر التاريخية .ففي هذا الكتاب إشارات هامة جدا عن تاريخ حركة الخوارج و أدبهم كما يحوى على كثير من الروايات التاريخية المتعلقة بتاريخ بني أمية يمكن القول أنها تتناول جوانبه كتب التاريخ نفسها.هذا فضلا عن الخطب والرسائل التي أوردها والتي تعد وثائق هامة في نظر الباحثين المعاصرين

-إبن عبد ربه (أحمد بن محمد) 246 -328 هـ/860-940م
ولد في قرطبة أعظم مدن الأندلس ، برع في ميدان الأدب و الشعر و له

كتابات كثيرة (1) يهمنا في هذه الدراسة كتابه المسمى بـ" العقد الفريد " والذي طبع طباعة حديثة في ستة أجزاء أغلبها تتضمن أخبار نادرة عن كبار رجال الدولة الإسلامية منهم الخلفاء و الأمراء ومنهم رجال الفكر و الأدب رغم أنّ إبن عبد ربه قد عاش في الأندلس بعيدا عن الشرق إلا أنّ إهتمامه بأهل المشرق قد طغى بإهتمامه عن أهل المغرب ،ولكن وجوده في الأندلس بعيدا عن مراقبة و نقود حكام المشرق مكنته من أن يكون أقدر من غيره على الصراحة و إبداء الرأي في المسائل ذات الأهمية الكبيرة ،وخاصة فيما يتعلق بتاريخ الأمويين في المشرق .

ومهما حاولنا الإشارة إلى كتب الأدب المتعلقة بميدان البحث التاريخي والمكملة له ،فإننا لا نستطيع أن نفيها حقها من التحليل ،ومن الممكن أن تكون دراسة مستقلة عن هذه نقوم بها و لذلك فإننا نكتفي بهذا و نشير إلى البقية في الملحق عسى أن يجد الباحث الفرصة للإطلاع على محتوياتها فيخدم أبحاثه في حقل التاريخ الإسلامي .

---

(1) منها تنظيمه لأرجوزة تاريخية مطولة تجاوزت 400 بيت شعري ،فهي ملحمة شعرية أخبار ووقائع إنتصارات " عبد الرحمن ناصر " ذكر فيها غزواته ورتبها ترتيبا زمنيا من سنة 300 هـ إلى سنة 322 هـ . لها قيمة تاريخية هامة في التاريخ الأندلس لما إشتملت عليه ذكر الوقائع و الأمكنة و الحصون و أسماء كثيرة من القادة العرب المسلمين في ذلك العصر .

بيان الملاحق

يرغب بعض الباحثين الإطلاع على مقدمة المصدر قبل محاولة الإستعانة به ، و ذلك الإطلاع على المنهج الذي إتبعه المؤلف ، و الخطة التي رسمها لكتابه .

و لتسهيل مهمة هؤلاء الباحثين حاولت تلبية هذه الرغبة بنقل أهم ما جاء في مقدمة أغلب المصادر التاريخية من إشارات الى موضوع الخطة و المهنجية ، و أسباب التاليف و محتوى الكتاب و غير ذلك مما يرغب الباحثون في معرفته من خلال إطلاعهم على مقدمات المصادر التي يعتمدون عليها في البحث في موضوع التاريخ الإسلامي .

وهذه الملاحق مرتبة كالتالي :

ملحق رقم (1) : منهجية إبن هشام — ملحق رقم (2) : منهجية إبن قتيبة

" " (3) : اليعقوبي — " " (4) : الطبري

" " (5) : المسعودي — " " (6) : إبن الأثير

" " (7) : الدينوري — " " (8) : المقيسي

" " (9) : ابو الفدا — " " (10) : ابن التغري بردي

" " (11) : ا لذهبي — " " (12) : ابن العماد

" " (13) :السيوطي — " " (14) : المبرد

" " (15) : ابن عبد ربه

منهجية إبن هشام (1)

.... قال إبن هشام و أنا إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ومن ولد رسول الله (ص) من ولده وأولادهم و أصلابهم الأول فالأول من إسماعيل الى الرسول (ص) و ما يعرض من حديثهم و تارك ذلك غيرهم ومن ولد إسماعيل على هذه الجهة للإختصار الى حديث سيرة رسول الله (ص) وتارك بعض ما ترك إبن إسحاق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله (ص) فيه ذكر وما نزل فيه من القرآن شيئ و ليس سببا لشيئ من هذا الكتاب و لا تفسيرا له و لا شاهدا عليه لما ذكرت من الإختصار و أشعارا ذكرها لم أرى أحد من أهل العلم بالشعر يعرفها وأشياء بعضها يشنع به و بعض يسوء بعض الناس ذكره و بعض لم يقر لنا البكائي بروايته و مستقص إن شاء الله ما سوي ذلك بمبلغ الرواية له و العلم به .

منهجية إبن قتيبة (2)

هذا كتاب جمعت فيه من المعارف ما يحق على من أنعم عليه بشرف المنزلة أن يأخذ نفسه بتعليمه إذا كان لا يستغني عنه في مجالس الملوك أن يجالسهم ، فإن قلّ مجلس عقد على خيره أو أسس لرشد إلا و قد يجرى فيه بسبب من أسباب المعرف ... فإني رأيت كثيرا من الأشراف من يجهل نسبه ، و من ذوي الأحساب ومن لا يعرف سلفه .. و كتابي هذا يشمل على فنون كثيرة من المعرف أوّلها مبتدأ الخلق ، وقصص الأنبياء الى أن بلغت زمن المسيح ووصلت ذاك بذك أنساب العرب مختصرا لذلك و مقتصرا على العمائم و مشهورا لبطون ، ثم إتبعته أخبار الرسول (ص) و أخبار العشرة من المهاجرين ثم الصحابة المشهورين ثم الخلفاء من لدن معاوية الى المعتصم ، والمشهورين من صحابة السلطان و الخارجين عليهم من الخوارج، ثم التابعين و من بعدهم من حملة الحديث وأصحاب الرأي ...

و ذكرت المساجد المشهورة و متى أبتنيت و على يدي من أسست و دللت على جزيرة العرب و حدود السواد ، و أخبرت عن الفتوح و عن أديان العرب في الجاهلية و في صناعات الأشراف ... و عن الأيام المشهودة ....

وكان غرضي في جميع ما أقصصت الإيجاز و التخفيف والقصد للمشهور من الأنباء ، ولو قصدت الإستقصاء لطال الكتاب ، ولو أطلته أتعبتك فكيف ذلك ، و أحتطت لك فيه أبلغ الإحتياط ، وعايرت على نظري بنظر الحفاظ ، و أرجو أن أكون قد بلغت لك منه منية النفس ..

(1) السيرة ، رواية أبي محمد بن عبد الله البكائي عن محمد بن (إسحاق) ، نشر فرديناند وستنفلد ، ليدن 1858

(2) المعرف ، تحقيق ثروت عكاشة ، ط 4 دار المعرف ، القاهرة 1981 م ، ص 1-7 .

اليعقوبي (1)

... إنه لما إنقضى كتابنا الأول الذي إختصرنا فيه إبتداء كون الدنيا و أخبار الأوائل من الأمم المتقدمة ألفنا كتابنا هذا على ما رواه الأشياخ المتقدمون من العلماء و الرواة و أصحاب السير و الأخبار و التاريخيات و لم نذهب الى التفرد بكتاب نصفه و نتكفل منه ما قد سبقنا اليه غيرنا لكنا قد ذهبنا الى جمع المقالات و الروايات لأننا قد وجدناهم قد إختلفوا في أحداثهم و أخبارهم وفي السنين و الأعمار و زاد بعضهم ونقص بعض فاردنا أن نجمع ما إنتهى الينا مما جاء به لك إمرئ منهم لأن الواحد لا يحيط بكل علم ....

و إبتدأنا كتابنا هذا من مولد رسول الله (ص) و أخبار بعده و سيرة خليفة بعد خليفة وفتوحه .. و كان من روينا عنه ما في هذا الكتاب إسحاق بن سليمان بن علي الهاشمي عن أشياخ بني هاشم و .... (2)

وجعلناه كتابا مختصرا حذفنا منه الأشعار وتطوير الأخبار و بالله المعونة و التوفيق .

منهجية اليعقوبي (3)

... إني عنيت في عنفون شبابي بعلم أخبار البلدان لأني سافرت حديث السن و إتصلت أسفاري و دام تغربي فكنت متى لقيت رجلا من تلك البلدان سألته عن وطنه و مصره فإذا ذكر لي داره وموضع قراره سألته عن بلده ذلك ... وزرعهوما هو وساكنيه من هم عرب أو عجم ... حتى أسأل عن لباسهم ودياناتهم و مقالاتهم و الغالبين عليه ... وما يقرب منه من البلدان ثم أثبت كل ما يخبرني به من أثق بصدقه و أستظهر بمسالة قوم بعد قوم حتى سألت خلقا كثيرا من أهل المشرق والمغرب وكتبت أخبارهم و ذكرت من فتح بلدان بلدان وجنّد مصرا مصرا من الخلفاء و الأمراء و مبلغ خراجه وما يرتفع من أمواله فلم أزال أكتب هذه الأخبار و أؤلف هذا الكتاب مختصرا لأخبار البلدان .... وقد ذكرت الأمصار و الأجناد والكور وما في مصر من المدن و الأقاليم ومن يسكنه ويترأس خراجه وسهله وجبله و بره و بحره و هواءه في شدّة حره وبرده و مياهه و شربه .

(1) تاريخه ، تحقيق و نشر ديجويه ، مطبعة بريل ، 1383 جـ 2 ، ص 4.2

(2) يذكر فطاحل أهل الروايات و الأخبار . أنظر جـ 2 ص 4.3 .

(3) البلدان ، طبع ليدن ، مطبعة بريل . 1891 (ذيل المجلد السابع من كتاب الأعلاق النفسية) ، ص 232-233

منهجية الطبري (1)

... وأنا ذاكر في كتابي هذا من ملوك كل زمان من إبتداء ربنا جل جلاله خلق خلقه الى حال قيامهم من أنتهى اليه خبره ... مقرونا بذكر نعائمه وجمل ما كان من حوادث الأمور في عصره و أيامه ... بوجيز من الدلالة غير طويل إذا لم نقصد بكتابنا هذا قصد الإحتجاج لذلك بل لما ذكرنا من تاريخ الملوك الماضين وجمل من أخبارهم و أزمان الرسل و الأنبياء و أيام الخلفاء والسالفين و بعض سيرهم و مبالغ ولايتهم ثم أنا متبع نكر صحابة نبينا محمد (ص) ثم متبعهم بذكر من كان بعدهم من التابعين ثم ملحق بهم نكر من كان بعدهم ...

و ليعلم الناظر في كتابنا هذا أن إعتمادي في كان ما أحضرت نكره فيه إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه و الآثار التي أنا مستندها الى رواتها فيه دون ما أدرك بجمع العقول و إستنباط بذكر النفوس إلا اليسير القليل منه وإذا كان العلم بما كان من أخبار الماضين غير واصل الى من لم يشاهدهم إلا بأخبار المخبرين دون الإستخراج بالعقول والإستنباط فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشفعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة و لا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا وأنا إنما أدّينا ذلك على نحو ما أدي إلينا

منهجية المسعودي (2)

... وكان ما دعاني الى تاليف كتابي هذا في التاريخ وأخبار العالم ... محبة إحتداء الشاكلة التي قصدها العلماء وقفاها الحكماء ، و أن يبقى للعالم نكرا محمودا ، فإنا وجدنا مصنفي الكتب و في ذلك مجيدا و مقصرا ومسهبا و مختصرا ، ... و ليس من لزم جهة وطنه و قنع بما نمي إليه من الأخبار من إقليمه كمن قسم عمره على قطع الأقطار..وقد ألف الناس كتبا في التاريخ و الأخبار فأصاب البعض و أخطأ البعض(3) ... و لم تذكر من كتب التواريخ والأخبار

---

(1) تاريخ الطبري (تاريخ الأمم و الملوك) ، مكتبة خياط ، بيروت بدون تاريخ جـ 1 ، ص 4-5 .

(2) مقدمة كتاب " مروج الذهب " تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة بيروت ، 1403هـ/1982م ، جـ 1 ، ص 12-18 .

(3) يذكر أسماء مؤرخين كثيرين أغلبهم لم تصلنا كتبهم فيثني على البعض مثل " الطبري " و ينقد البعض مثل " ثابت بن قرة " انظر جـ 1 ص 12 .17 .

إلاّ ما إشتهر مصنفوها و عرف مؤلفوها ، و لم نتعرض لذكر كتب تواريخ أصحاب الأحاديث في معرفة أسماء الرجال و أعصارهم و طبقاتهم ... (1)

وقد سميت كتابي هذا بكتاب " مروج الذهب و معادن والجواهر " لنفاسة ما حوله ، وعظم خطر ما إستولى عليه من طوالع بوارع ما تضمنته كتبنا السالفة في معناه ، وغرر مؤلفاتنا في مغزاه ... لما قد ضمنته من جمل ما تدعو الحاجة إليه ، و جعلته منبها على أغراض ما سلف من كتبنا ، ومشتملا على جوامع يحسن بالأديب العاقل معرفتها ، ولا يعذر في التغافل عنها ، إلا أوردناه في هذا الكتاب مفصلا أو ذكرناه مجملا ... و بالله التوفيق .

منهجية إبن الأثير (2)

... أما بعد ، فإني لم أزل محبا لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها ، و مؤثرا للإطلاع على الجلي من حوادثها ... فلما تأملتها رأيتها متباينة في تحصيل الغرض .. فمن بين مطولٍ قد إستقصى الطرق و الروايات و مختصر قد أخذ بكثير مما هوات ، و مع ذلك فقد ترك كلهم العظيم من الحادثات ... و قد أرّخ لك منهم الى زمانه و جاء بعده من ذيّل عليه ... والشرقي منهم قد أخلّ بذكر الغرب ، و الغربي قد أهمل أحوال الشرق ... فلما رأيت الأمر كذلك شرعت في تأليف تاريخ جامع الأخبار ملوك الشرق و الغرب وما بينهما ، ليكون تذكرة لي أراجعه خوف النسيان ، و آتي فيه بالحوادث من أول زمان و متتابعة يتلو بعضها الى وقتنا هذا ولا أقول أني أتيت علي جميع الحوادث المتعلقة بالتاريخ و لكني أقول أنني قد جمعت في كتابي هذا ما لم يجمع في كتاب واحد....

فابتدأت بالتاريخ الكبير الذي صنفه الإمام الطبري (2) فقصدت أتم الروايات فنقلتها وأضفت إليها من غيرها ما ليس فيها ، و أودعت كل شيئ مكانه ، فجاء جميع ما في تلك الحادثة على إختلاف طرقها على ما تراه .

فلما فرغت منه أخذت غيره من التواريخ المشهورة ... ممن يعلم صدقهم فيما نقلوه و صحة ما دوّنه ... و رأيتهم أيضا يذكرون الحادثة الواحدة في سنين و يذكرون منها في كل شهرأشياء فتأتي الحادثة مقطعة لا يحصل منها على غرض ، ولا تفهم إلاّ بعد إمعان النظر

---

(1) اشار إلى انه ذكرهم في مصنفات اخرى مثل كتاب " أخبار الزمان و الكتاب الأوسط " .

(2) الكامل في التاريخ ، دار صادر . بيروت ، 1399هـ/1979 جـ 1 ، ص 1 و ما بعدها .

فجمعت أنا الحادثة في موضع واحد وذكرت كل شيئ منها فأتت متنـاسقة متتابعة وذكرت في كل سنة لكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصها ، فأما الحوادث الصغار التي لا يحتمل منها كل ترجمة فإنني أفردت لجميعها ترجمة واحدة في آخر كل سنة فأقول : ذكر عدة حوادث ، و إذا ذكرت بعض من نبغ و ملك قطر من البلاد ولم تطل أيامه فإنني أذكر جميع حالة من أوله الى آخره ، عند إبتداء أمره ، لأنه إذا تفرق خبره لم يعرف للجهل به .

وذكرت في آخر كل سنة من توفي فيها من مشهوري العلماء و الأعيان و ضبطت الأسماء المتشابهة ... وقد سميته إسما يناسب معناه ، وهو " الكامل في التاريخ " ... (1) .

منهجية الدينوري (2)

.... وهذه عيون الأخبار نظمتها لمغفل التأدب تبصرة و لأهل العلم تذكرة و لسائر الناس ومسوسهم مؤدبا وللملوك مسترحا و صنفتها أبوابا ليسهل على المتعلم علمها وعلى الدارس حفظها و على الناشد طلبها وهي لقاح عقول العلماء و نتاج أفكار الحكماء و المتخيير من كلام البلغاء وسير الملوك و آثار السلف ، ولم أصوابا أن يكون كتابي هذا وفقا على طالب الدنيا دون طالب الآخرة ، ولا على خواص الناس دون عوامهم فوفيت كل فريق منهم قسمه ، و أودعته طرفا من محاسن الكلام ....

و أعلم أنا لم نزل نتلقط هذه الأحاديث عمن هو فوقنا في السن و المعرفة وعن جلسائنا ومن كتب الأعاجم و سيرهم وأني حين قسمت هذه الأخبار و الأشعار و صنفتها وجدتها على إختلاف فنونها و كثرة عدد أبوابها تجمع في عشرة كتب (3) فهذه الأبواب الكتب جمعتها لك في صدر أولها لأعفيك من كدّ الطلب و تعب التصفح و طول النظر عند حدوث الحاجة الى بعض ما أودعتها و لتقصد فيها تريد الى موضعه .....

---

(1) يذكر اهمية التاريخ ، أنظر جـ 1 ، ص 6-9

(2) كتاب عيون الأخبار ، دار الكتاب العربي ، بيروت ب ت ، جـ 1 .

(3) يقصدها الأبواب أو الفصول ، من محتوياتها مختصرة .

منهجية المقدسي (1)

.... فأمرني لازال أمره عاليا أن أجمع له كتابا في هذا الباب منحطا عن درجة العلو خارجا عن حد التقصير ... وتتبعت صحاح الأسانيد و متضمنات التصانيف و جمعت ما وجدت في ذكر مبتدأ الخلق ثم ما يتبعه من قصص الأنبياء وأخبار الأمم و الأجيال و تواريخ الملوك من العرب و العجم الى زماننا هذا وهو سنة ثلثمائة و خمس و خمسين .

وقد وسعت هذا الكتاب بكتاب البدء و التاريخ وهو مشتمل على إثنين و عشرين فصلا يجمع كل فصل أبوابا وأذكارا من جنس ما يدل عليه (2) ....

منهجية أبي الفداء (3)

.. أورد في كتابي هذا شيئا من التواريخ القديمة الإسلامية يكون تذكرة يغنيني عن مراجعة الكتب المطولة فإخترته و إختصرته من " الكامل " " لإبن الأثير " ومن تجارب الأم لإبن مسكويه (4) و ألفت التواريخ القديمة من هذا الكتاب على مقدمة و فصول خمسة ، وأما التواريخ الإسلامية فرتبتها على السنين حسب تأليف الكامل و لما تكامل هذا الكتاب سميته المختصر في أخبار البشر .

منهجية إبن تغري بردي (5)

... و الزعماء القائمون بنهي كـل منكر قلبّهم (الله) و أطوارها دولا ، و خالف بينهم إعتقاد وقولا عملا وجعل قصصهم عبرة و تذكرة في كل خبر و كتاب أحمده حمدا كثيرا على أن عرفنا من صلح منهم ومن فسد ... لنعايم ممن تقدم آثارهم و نسمع كما وقعت أخبارهم ، فنخبر بذلك من تأخر عصره من الأقوال ليقتدي كل ملك يأتي بعدهم بجميل الخصال ، ولم أقل كمقالة الغير أنني مستدعي الى ذلك من أمير أو سلطان ، بل ألفته لنفسي ليكون لي في الوحدة جليسا ...

---

(1) البدء و التاريخ ، مكتبة الأسدي ، طهران ، 1962جـ 1 ، ص 5، ص 17.

(2) يتحدث عن محتويات الفصول، وخصص للتاريخ الإسلامي الفصول من 14الى 22 ، انظر جـ 1 ، ص 15-17

(3) المختصر في أخبار البشر ، دار المعرفة بيروت ، بدون تاريخ جـ 1 ، ص 2-3 .

(4) يتحدث عن مصادره . أنظر جـ 1 ، ص 3 .

(5) النجوم الزاهرة،طبعة مصورة عن طبعة دا الكتب، القاهرة 1383هـ/1963م،جـ1، ص 1-3 .

أما بعد فلما كان أمصر ميزة كل بلد بخدمة الحرمين الشريفين ، أجبت أن أجعل تاريخا لملوكها ، و قمت بتصنيفه و إستفتحت بفتح مصروما وقع لهم في المسالك ومن حضرها من الصحابة ، وعلى أي وجه فتحت صلح أم عنوة من أصحابها ،وأمجع في ذلك أقوال من إختلف من المؤرخين و ذلك بعد إتصال سندي الى من لي عنه منهم رواية ، ليجمع الواقف عليه بين صحة النقل والدراية .

و أطلق عنان القلم فيما جاء في فضلها و ذكرها ثم أذكر من وليها من يوم فتحت وما وقع في دولته ، ثم أذكر أيضا في كل ترجمة ما أحدث صاحبها ثم أيام ولايته من الأموروما جدده من القواعد و الوظائف و لا أقصر على ذلك بل أستطرد الى ذكر ما بني فيها من المباني الزاهرة، كالميادين و الجوامع ومقياس النيل و عمارة القاهرة ، أولا بأول أذكره في يوم مبناه و في زمان سلطانه مستوعبا لهذا المعنى ضابطا لشانه ، على أنني أذكر من توفي من الأعيان في دولة كل خليفة و سلطان و بإقتصار ، بعد فراغ ترجمة المقصود من الملوك مع ذكر بعض الحوادث في مدّة ولاية المذكورة في أيما قطر من الأقطار ، و أبدأ فيه بعد التعريف بأحوال مصر وسميته " النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة " و الله الموفق .

منهجية الذهبي (1)

... و بعد ، فهذا التاريخ مختصر على السنوات ، أذكر فيه ما قدر لي من أشهر الحوادث و الوفيات ، مما يتعين على الذكي حفظه ، و ينبغي للطالب ضبطه و يتحتم على العالم إحتضاره. و اللــــه الموفق .

منهجية إبن العماد (2)

وبعد فهذه نبذة جمعتها تذكرة لي ومن تذكر و عبرة لمن تأمل فيها و تبصر من تقدم ، جمعتها من أعيان الكتب و كتب الأعيان ممن كان له القدم الراسخ في هذا الشان أوردت أن أجعله دفترا جامعا لوفيات أعيان الرجال و بعض ما إشتملوا عليه من المآثر و السجايا فإن حفظ التاريخ أمر مهم .فممن جمعت من كتبهم و كرعت من نهلهم و علمهم مؤرخ الإسلام الذهبي وبعده ومن إشتهر في هذا الشان .

---

(1) العبر في خبر من غبر ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، الكويت ، 1960 ، جـ 1 ، ص 1 .

(2) شذرات الذهب ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت بدون تاريخ ، جـ 1 ص 7–8

و سميته " شذرات الذهب في أخبار من ذهب " ، ورتبته على السنين من هجرة سيد الأولين و الآخرين ...

منهجية السيوطي (1)

.... و الداعي الى تاليف هذا الكتاب أمور منها أنّ الإحاطة بتراجم أعيان الأمة مطلوب ، و قد جمع جماعة تواريخ ذكروا فيها الأعيان مختلطين و لم يستوفوا ، و إستفاء ذلك يوجب الطول و الملال ... (2) و لم يبق من الأعيان غير الخلفاء مع تشوق النفوس الى أخبارهم ، فأفردت لهم هذا الكتاب ، ولم أورد أحد ممن أدعي الخلافة خروجا و لم يتم لهم الأمر كثير من العلويين و قليل من العباسيين و لم أورد أحدا من الخلفاء العبيديين لأن أمامتهم غير صحيحة ... (3) ولا غيرهم من الخوارج ، و إنما ذكرت الخليفة المتفق على صحة إمامه و عقد بيعته و قد قدمت في أول الكتاب فصولا فيها فوائد مهمة و ما أوردته ومن الوقائع فهو ملخص من تاريخ الجاحظ والذهبي والعهدة في أمره عليه و الله المستعان .

المبرد (4)

... هذا كتاب ألفناه يجمع ضروبا من الآداب ، ما بين كلام منثور ، وشعر مرصوف ، مثل سائر ، وموعظة ، و إختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة .

و النية فيه أن نفسّر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب ، أو معنى مستغلق ، و أن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحا شافيا .

إبن عبد ربه (5)

... إبن أهل كل طبقة وجها نبذة كل أمة قد تكلموا في الأدب ... فالينظر الناظر الى الأوضاع المحكمة و الكتب المترجمة بعين إنصاف ثم جعل عقله حكما عادلا قاطعا و قد ألفت هذا

---

(1) تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، بدون مكان للطبع و لا تاريخها ص 6.3 .

(2) يذكر مؤلفاته في موضوع " الطبقات" ، أنظر ، 4.3.

(3) يبين حججه في هذا الموضوع . أنظر ، ص 6.4.

(4) الكامل ، مطبعة النهضة ، مصر ، القاهرة ، 1956م ، جـ 1 ، ص 1–2 .

(5) يقصد بذلك فصولا ، أنظر عناوينها . جـ 1، ص 4 .

الكتاب ، وتخيرت جواهره من تخيير جواهر الآداب ، وإنما لي فيه تأليف الإختيار و حسن الإختصار ، و فرش لدور كل كتاب ، وما سواه فمأخوذ من أفواه العلماء ، ومأثور عن الحكماء والأدباء ، فتطلبت نظائر الكلام ، ثم قرنت كل جنس منها الى جنسه فجعلته بابا علي حدته ، ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب ، و قصدت من جملة الأخبار و فنون الآثار الى أشرفها جوهرا ...

و حذفت الأسانيد من أكثر الأخبار طلبا للإستخلاف والإيجاز لأنها أخبار ممتعة لا ينفعها الإسناد بإتصاله و لا يضرها ما حذف منها فجعلت هذا الكتاب كافيا ، جامعا لأكثر المعاني ليعلم الناظر في كتابنا هذا أنّ لمغربنا على قاميته وبلدنا على إنقطاعه حظا من المنظوم و المنثور وسميته " العقد الفريد " و أوجزته خمسة و عشرين كتابا قد إنفرد كل كتاب منهاباسم جوهر من جواهر العقد .

المصادر و المراجع

أولا : المصادر :

- إبن الأثير (أبو الحسن علي) ت 630هـ / 1222م .
الكامل في التريخ ، ط 4 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1403هـ/1983 م .
- البغدادي (أبو بكر أحمد) ت 463هـ/1080 م .
تاريخ بغداد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .
- البغدادي (عبد القاهر) ت 429هـ/1037م .
الفرق بين الفرق ، ط 4 ، بيروت ، 1400هـ/1980م .
- البلاذري (أبو العباس أحمد بن يحي) ت 279هـ/892م .
فتوح البلدان ، تحقيق أنيس الطباع ، دار النسر للجامعيين ، بيروت ، 1377هـ / 1957 م .
- إبن تغري بردي (جمال الدين) ت 874هـ/1469م .
النجوم الزاهرة في مصر و القاهرة ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) ت 255هـ/896م
البيان و التبيين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،1388هـ/1968 م
- إبن حزم (علي بن أحمد) ت 456هـ/1063م .
الفصل في الملل و النحل ، القاهرة ،1317هـ/1899م .
-إبن خلكان (شمس الدين أحمد) ت 681هـ/1282م .
وفيات الأعيان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر بيروت 1398هـ/1978 .
- خليفة بن خياط (الليثي) ت حوالي 240هـ/حوالي 855م
كتاب التاريخ ، دمشق ، 1387هـ/1967 م .
- الدينوري (أبو حنيفة أحمد بن داود) ت 282هـ/895 م .
الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، طبعة القاهرة ، 1380هـ/1960م .
- الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله) ت 746هـ/1354م .
العبر في خبر من غبر ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، الكويت ، 1380هـ/1960م .
- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن) ت 911هـ/1505م.
تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين ط 2 ، القاهرة 1378هـ/1959م .
- شهرستان (أبو الفتح محمد) ت 548هـ/1153م.
الملل و النحل ، ط2 ، دار المعارف بيروت ، 1395هـ/1975م
- الطبري (إبو جعفر محمد بن جرير) ت 310هـ/967م .
تاريخ الرسل و الملوك ، تحقيق محمد الفضل ، ط3 ، دار المعارف ، 1339هـ/1979 م.

15 - إبن طيفور (أبو الفضل أحمد) ت 280هـ/893م .
بغداد في تاريخ الخلافة العباسية ، بغداد ، 1338هـ/1968م

16 - إبن عبد ربه (أبو عمر أحمد) ت 328هـ/940م .
العقد الفريد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1402هـ/1982م.

17 - إبن عساكر (أبو القاسم علي) ت 571هـ/1064م .
التاريخ الكبير ، دار مطبعة الشام ، 1330هـ/1911 م .

18 - إبن العماد (أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي) ت1089هـ/1078م .
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، بدون تاريخ .

19 - أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل) ت 732هـ/1331م .
المختصر في أخبار البشر ، دار المعرفج ، بيروت ، بدون تاريخ

20 - إبن قتيبة ((أبو محمد عبد الله) ت 276هـ/889 م.
عيون الأخبار ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1393هـ/1925م

21 - إبن كثير (عماد الدين) ت 774هـ/1372 م.
البداية و النهاية ، ط1، مكتبة المعرف ، بيروت ، الرياظ ، 1386هـ/1966م .

22 - الماوردي (أبو الحسن علي) ت 450هـ/1058م .
الأحكام السلطانية و الولايات المدنية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1398هـ/1978 م.

23 - المسعودي (أبو الحسن علي) ت 346هـ/1054م .
مروج الذهب و معادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين ، ط3، القاهرة 1377هـ .

24 - المقريزي (أحمد بن علي) 845هـ/1442م .
المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الأخبار ، القاهرة ، بدون تاريخ .

25 - إبن النديم (أبو الفرج محمد) ت 236هـ/850 م.
كتاب الفهرست ، تحقيق رضا تجدد ، طهران ، 1391هـ/1971م.

26 - ياقوت الحموي (شهاب الدين) ت 628هـ/1144م .
معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت 1399هـ/1979 م.

27 - يحي بن أدم (القرشي) ت 203هـ/818م.
كتاب الخراج ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، المكتبة العلمية ، لاهور ، 1395هـ/1975م.

28 - اليعقوبي (أحمد بن أسق) ت 284هـ/897م .
تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، 1379هـ/1960م .

29 - أبو يوسف (أبو يعقوب إبراهيم) ت 182هـ/798م .
كتاب الخراج ، ط3، المطبعة السلفية ، القاهرة ، 1382هـ/1962م .

ثانيا ، المراجع :

- أبو زيد حكمت ، التاريخ بتعليمه و تعلمه حتى نهاية القرن التاسع عشر ، القاهرة ، 1961 م .

جونسن هنري ، تدريس التاريخ ، تعريب أبو الفتوح رضوان ، القاهرة ، 1965 .

حاطوم نور الدين و عاقل نبيه و المدخل الى التاريخ ، مطبعة جامعة دمشق ، 1965 م .

- حسن محمد عبد الغني ، علم التاريخ عند العرب ، القاهرة ، 1961 م .

الدوري عبد العزيز ، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، بيروت ، 1960 م .

- رستم أسد ، مصطلح التاريخ ، بيروت ، 1955 م .

- روزنثال فرانز ، علم التاريخ عند المسلمين ، تعريب صالح أحمد عبد العلي ، بغداد ، 1963 م

- الزركي خير الدين ، الأعلام ، ط3 ، بيروت ، بدون تاريخ .

- العبادي عبد الحميد، فصل في علم التاريخ عند المسلمين (ضمن كتاب علم التاريخ) تأليف ، هرنشو ، القاهرة ، 1948م

- عثمان حسن ، منهج البحث التاريخي ، القاهرة ، 1970 م .

- الكاشف سيد إسماعيل ، مصادر التاريخ الإسلامي و مناهج البحث فيه ، القاهرة ، 1960 م

- ماجد عبد المنعم ، مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي ، القاهرة، 1953 م .

- محمد حسن زكي ، دراسات في مناهج البحث في التاريخ الإسلامي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة مايو 1950 م .

- مصطفى شاكر و التاريخ العربي و المؤرخون ، بيروت ، 1979 م .

- نصار حسين ، نشأت التدوين التاريخي عند العرب ، القاهرة ، 1956 م .

- هرنشو ، علم التاريخ ، ترجمة و تقديم العبادي ، القاهرة ،1983م .

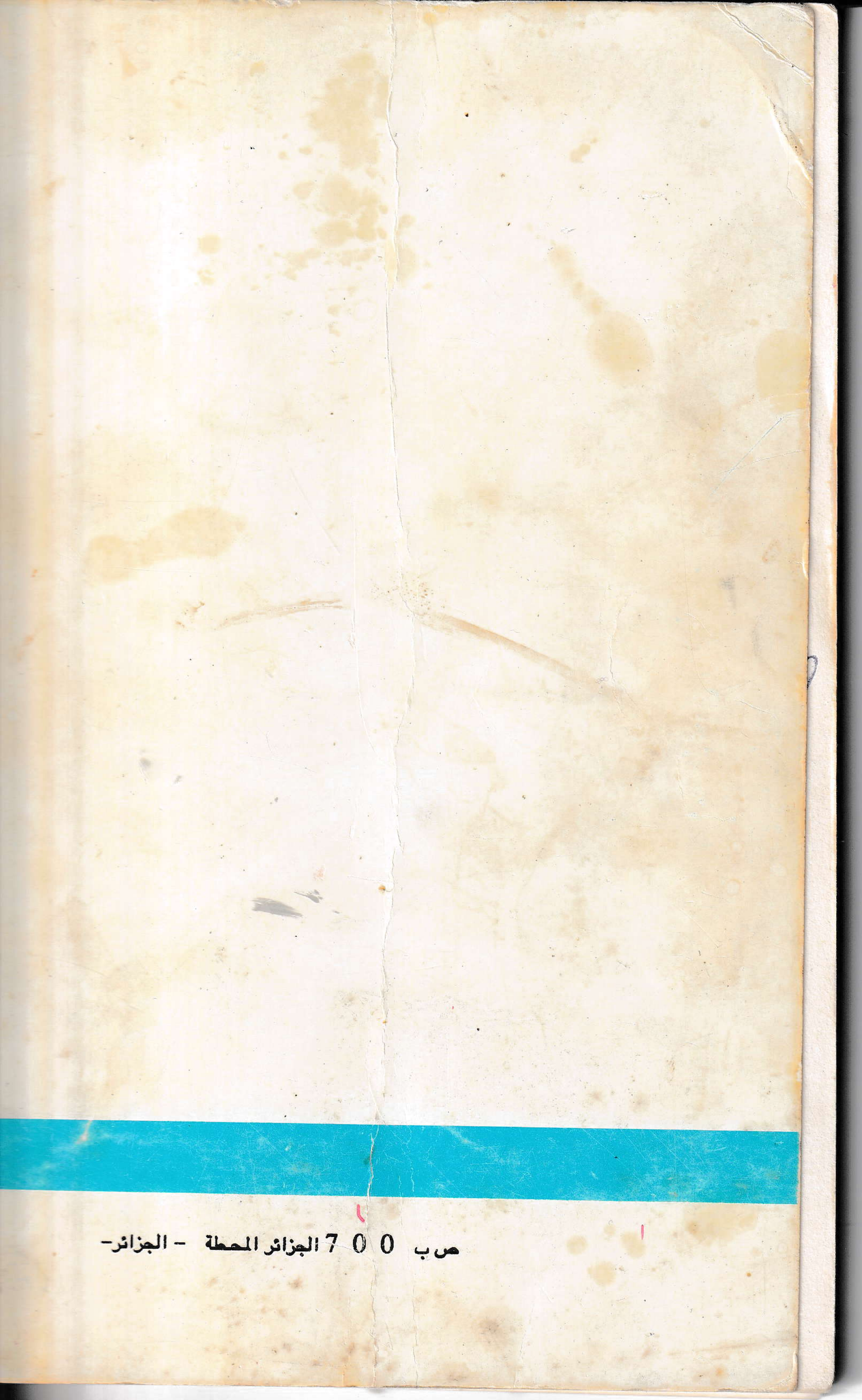
فهرس الكتاب

مطبعة النخلة

1 شارع باردي

بوزريعة ـ الجزائر

الهاتف 78.04.38 . 78.78.74 (02)



ص ب 700 الجزائر المحطة - الجزائر-